
برقية الحسين عليه السلام
كلمتان تختصران الثورة

اسم الكتاب: برقية الحسين عليه السلام كلمتان تختصران الثورة

الكاتب: الشيخ د. أكرم بركات

الناشر: بيت السراج للثقافة والنشر

الطبعة الثامنة: بيروت ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



الشيخ د. أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم



سلسلة على منبر القائم عجل الله فرجه الشريف

قضايا تلامس حاجة الناس في الفكر والسلوك

وتضيء على طريق سعادة الإنسان،

وتوضّح برنامجها تناولها الشيخ د. أكرم بركات

على منبر مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف في الضاحية الجنوبيّة

لبيروت ثمّ ألبسها ثوبَ الكلمات المكتوبة

بين يديك عسى أن تكون محلاًّ للقبول.

مقدّمة الطبعة الأولى

في رسالة للإمام الحسين عليه السلام إلى بني هاشم، حينما خرج من مكة متوجِّهاً نحو العراق، وبكل شفافية قال عليه السلام: «**من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى بني هاشم، أمَّا بعد، فإنه مَنْ لحق بي منكم استُشهد معي، ومن تخلَّف لم يبلغ الفتح**»[1].

من الواضح أنَّ حديث الإمام الحسين عليه السلام هذا هو عن مشروع يُمثِّل بشارةً لدى المؤمن ألا وهو الشهادة، وهي أمنية الفرد السائر في سبيل الله؛ لغاية تحصيل أعلى الكمالات.

والمقطع الآخر من الرسالة يتعلَّق بالمتخلِّفين عن الالتحاق به عليه السلام. واللافت في توصيفهم أنه لا يقع في الضفَّة الأخرى المقابلة للشهداء، فلم يحكم عليه السلام عليهم

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تصحيح محمد مهدي الموسوي الخراساني، (لا،ط)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٦ هـ.ش، ج٤٢، ص٨١.

بأنهم من أهل النار، بل أخبر عنهم بأنّهم حُرموا من شرف كبير، وكرامةٍ عظيمة ألا وهي الفتح.

من هنا سأستعرض، في ما يأتي، العناوينَ الأساسيةَ في هذه الرسالة القصيرة، والتي تختصر في مدلولاتها أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام وقِيَمها.

والبدء سيكون بدراسة معنى الفتح، والذي لا يعني - بمقتضى المقابلة مع الاستشهاد- النصرَ العسكري، فأيُّ فتحٍ أراده الإمام الحسين عليه السلام؟

والتالي سيكون دراسة أحوال المتخلّفين عن الالتحاق ومصيرهم، وأصنافهم التي يُمكن أن تظلّلها العبارة القاسية الملطَّفة: «ومن تخلَّف لم يبلغ الفتح».

والانتهاء سيكون بالحديث عن ثقافة الاستشهاد الذي كان شعار البُشرى المنُتظرة في مسير الإمام الحسين، وجدّه، وأبيه، وأمّه، وأخيه، والتسعة المعصومين من بنيه (صلوات اللّه عليهم)، ومن سار في دربه يُلبّي تلك الدعوة الخالدة خلودَ تَقَابُلِ الحقّ والباطل.

وعليه، فإنّ الكتاب سيحتوي أبواباً ثلاثة تعرَّضتُ لها في مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف في أجواء مدرسة عاشوراء، وهي:

- **الفتح.**
- **المتخلِّفون عن الفتح.**
- **الشهادة.**

ولم يكن غرضي من صياغة كلماتي أن أدوّن بحثاً علمياً، وإنما أبقيتها في إطار المحاضرات المجموعة في سلسلة على منبر القائم عجل الله فرجه الشريف بعدما رأيت الأثر الطيِّب لهذه المجموعة في تكوين ثقافة دينية مؤثِّرة في نموِّ الإدراك الصحيح، والمسلك السليم، لا سيَّما في ظلِّ ما نواجهه من حرب ناعمة تحاول استهداف مكامن القوَّة في مجتمعنا.

أسأل اللّه تعالى أن يتقبَّل هذا العمل بأحسن قبوله، وأن يجعله ذُخراً لي يوم القيامة، وأن ينال بركة ورضا صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف.

أكرم بركات

بيروت، مُحرَّم ١٤٣٢هـ

كانون الثاني ٢٠١١ م



الباب الأوّل

الفَتْح



الفَتْح

«مِن الحسين بن علي بن أبي طالب إلى بني هاشم، أمّا بعد، فإنه من لحق بي منكم استُشهد معي، ومن تخلَّف لم يبلغ الفتح»[1].

بحسب نصِّ هذه الرسالة **«البرقيّة»**، فإنَّ الملتحقين هم شهداء، وبالتالي لا انتصارَ عسكريّاً لهم، وعليه فالفتح لا يعني النصر العسكري، إذاً ماذا يعني؟

إنَّ إطلاق مصطلح **«الفتح»** في هذه الرسالة الموجَّهة إلى بني هاشم - وهم عائلة بيت الوحي، ونخبة الأمَّة - يفيد وضوح هذا المصطلح في أذهانهم، وهذا ما يدفعنا نحو التعمّق في معنى الفَتْح الذي يشكِّل في هذه الرسالة عنواناً كبيراً للنهضة الحسينية.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٢، ص ٨١.

معنى الفَتّح في اللغة والقرآن الكريم

الفتح في اللغة نقيض الإغلاق، فـ «فَتَحَ» ضد أَغْلَقَ، كفَتَحَ الأبواب فانفتحت»[(١)].

أمَّا القرآن الكريم، فقد استخدم الفَتّح في غير آية نعرض منها ما ورد في سورتين تُضيئان على معنى الفَتّح في رسالة الإمام الحسين عليه السلام:

١. ما ورد في سورة الفتح:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[(٢)].

٢. ما ورد في سورة النصر:﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[(٣)].

من الواضح أنّ الفَتّح في الآيتين بمعنى واحد، هو قرين

(١) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ، ج٤، ص ١٤٨.
(٢) سورة الفتح، الآيتان ١،٢.
(٣) النصر ١ - ٣.

للنصر الذي منَّ اللّه تعالى به على نبيِّه ﷺ والمسلمين.

وقد نقل العلّامة الطباطبائي قدس سره في الميزان عدة معانٍ قيلت في تفسير الفَتْح في الآية الأولى، هي:

١. المُراد بالفتح فتح مكة.
٢. المُراد به فتح خيبر.
٣. المُراد به الفَتْح المعنوي، وهو الظفر على الأعداء بالحجج البيِّنة والمعجزات الباهرة التي بها تمَّت غلبة كلمة الحقّ على الباطل، وظهر الإسلام على الدِّين كلّه.

إلا أنَّ العلاَّمة قدس سره رفض هذه التفاسير الثلاثة بسبب عدم ملاءمتها لسياق الآيـات، فضلاً عن أنَّ القرائن لا تساعد على بعضها[١].

وما يدلُّ على صحة ما ذكره -رحمه اللّه- هو التأمل بسياق ما تَقدَّم من آيات. ففي آيتي سورة الفَتْح هناك ربط

---

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ط٢ بيروت الأعلمي، ١٩٧٣، ج١٨، ص٢٥٣

واضح بين الفَتّح وذنب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدم منه وما تأخر، والذي لا بدَّ أن يُحلَّل حتى يتضح المُراد من معنى الفتح.

وقفة مع ذنوب الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم

من الواضح في عقيدتنا عصمة أنبياء اللّٰه تعالى من الآثام والمعاصي، والتي يمكن مقاربتها من خلال دليلين:

الأول: دليل عقلي ينطلق من غاية النبوة في هداية الناس، فلو كان النبي يعصي اللّٰه تعالى، فإنّ عصيانه سيكون ذريعة لأتباعه لارتكاب الآثام حينما يقارنون بين أنفسهم وبين النبي المُتصل بالوحي، والمصطفى من اللّٰه تعالى في النبوة من بينهم؛ لكونه أكملهم، فلو كان هذا النبي يعصي اللّٰه عزّ وجلّ ، فإنَّ أتباعه سيسوِّغون معاصيهم بعصيانه، وهو الأكمل والمُجتبى الإلهي. إضافة إلى أنَّ اللّٰه تعالى جعل الأنبياء عليهم السلام أسوةً وقدوةً للناس، ودعاهم إلى الاقتداء بهُداهم، فقال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، فهل يُعقل أنَّ اللّٰه تعالى يجعل المذنبين والعاصين قدوة وأسوة للناس، وهو يريد أن يهتدي الناس من خلال الاقتداء بهم؟!

والأغرب من ذلك أن يُخبر اللّٰه تعالى الناس عن آثامهم ومعاصيهم، مع أنه هو الذي بعثهم وأرسلهم لهداية الناس. ألا يُخالف هذا الأمر الحكمة والمنطق؟!!!

أعرض مثالاً مُقرِّباً للفكرة:

أنا حينما أكون إماماً لمسجد، والناس يثقون بي، فلو أردت أن أغيب عن المسجد شهراً، واستعنتُ بأحدهم ليصلي إماماً بالناس أثناء غيابي، وتمهيداً لذلك أردت أن أقدّمه للناس كي يثقوا به، ويصلّوا خلفه، فقلت لهم: «من يثق بي، فَلْيثقْ بفلان الذي سيأتي ويُصلّي إماماً أثناء

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٨٩-٩٠.

غيابي. وأكملتُ قائلاً: صحيح أنه كاذب وسارق، وقاتل للنفس المُحترمة، ولكن عليكم أن تصلّوا وراءه وتهتدوا بهداه.

أليس كلامي هذا مخالفاً للحكمة والهدف الذي ابتغيته؟!!!!

وبناءً عليه لا يُعقل أنَّ اللّه تعالى قد أخبرنا عن الأنبياء لنهتدي بهداهم، ثم يُخبرنا عنهم بأنّ أحدهم قاتل بغير حق، والآخر سارق، والثالث كاذب، والعياذ باللّه.

من المؤكّد أنَّ من يفهم هذا، من بعض الآيات، قد أخطأ في فهم كتاب اللّه تعالى، وابتعد عن الأهداف الإلهية السامية.

وعليه لا بُدَّ من فهم آخر للكتاب العزيز ينسجم مع ما مرَّ من الدليل العقلي.

الدليل الثاني: هو إخبار اللّه تعالى بوضوح أنَّ الشيطان لا يدخل دائرة المخلَصين، بل هو يائس غير طامع في إغوائهم، لذا أقسم إبليس على إغواء جميع

بني آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكنه استثنى المُخلَصين. قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1]، فلو كان الشيطان مُتمكّناً من إغواء هؤلاء المُخلَصين لما تخلّى عن إغوائهم.

والمخلَصون -بفتح اللام، مقابل المخلِصين بكسرها، وهم الذين اصطفاهم اللّه تعالى خالصين له- وإن لم يوجد دليل على أنهم ينحصرون بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - إلا أنّه مما لاشك في شمول المخلَصين لجميع الأنبياء، ولتأكيد ذلك وصف اللّه تعالى جملة من الأنبياء بوصف المخلَص:

- قال تعالى عن النبِّي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذي قد يُفهم خطأً أنه قَتَلَ بغير حق ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[2].
- وقال تعالى عن النبِّي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذي قد يُفهم خطأً انجذابه السلبي نحو امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ

(١) سورة ص، الآيتان ٨٢،٨٣.
(٢) سورة مريم، الآية ٥١.

بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[١].

- وقال تعالى عن جُملة من أنبيائه عليهم السلام: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾[٢].

بناءً على ما تقدَّم لا يُمكن أن نُفسِّر الذنب الوارد في سورة الفَتْح بالمعصية والإثم، لا سيَّما أنَّ الحديث هو عن سيِّد بني البشر، وخاتم الأنبياء والرُسل محمد بن عبد اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه نقول: إنَّ معنى الذنب في اللغة «الجُرم»[٣]، وهو من المفاهيم النسبية التي يَختلف انطباقها بحسب حال الإنسان وموقعه وبيئته. حاله في ذلك حال معنى العيب، فإنه

---

(١) سورة يوسف، الآية ٢٤.

(٢) سورة ص، الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٣) ابن فارس ،أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (لا.ط)، قم مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ،ج ٢٢ ص ٣٤٩- الجوهري، الصحاح تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ، ج١، ص ١٢٩.

أيضاً من المفاهيم النسبية؛ إذ نلاحظ أنّ بعض تصرفات الإنسان البدوي في بيئته لا يُرى عيباً، بينما نفس التصرّف يُحكم عليه بالعيب في البيئة الحضرية، وكذلك نُلاحظ أنه لو أكل شابٌّ عادي في شارع عام لا يُعتبر ذلك منه عيباً، ولكن لو أنّ عالم دين ذا مكانة فعل ذلك فقد يُلام، ويُعتبر ذلك منه عيباً، بل قد يراه البعض مُسقطاً للمروءة.

واللافت في نظرة الناس إلى نسبيَّة الذنب أنهم قد يعتبرون نفس الفعل حسناً من ناحية، وذنباً من ناحية أُخرى، وقد يكون منشأ هذا الأمر مقام الإنسان وشأنيَّته، فلو أنّ شاباً متديناً ليس له تميّز في موقعه وشأنه الاجتماعي، طلب من أحد الأشخاص البعيدين عن أجواء التدين والأخلاق مساعدةً لأجل نشاط إسلامي، فقام ذلك الشخص ووبَّخه وطرده رافضاً إعطاءه أية مساعدة، فما هو موقفنا من عمل هذا الشاب؟

من الطبيعي أن نثني على عمله، ونعتبره حسناً، وإن لم تحصل النتيجة المطلوبة.

ولكن لو أنَّ مرجعاً دينياً أو قائداً كبيراً قام بهذا الطلب، وطرده ذلك الرجل، فهنا قد نُعاتب المرجع أو القائد: بأنّ هذا العمل غير لائق ومناسب لمقامه وشأنه، فلا نعدُّ ما صدر عنه حسناً باعتبار شأنيَّته وموقعه، فهذا الفعل هو حسن باعتبار، وهو ليس كذلك باعتبار آخر.

ولتقريب الفكرة أكثر أُعطي مثالاً يتعلق بالحكم على الشيء تارة بلغة العقل وأُخرى بلغة القلب.

فقد ورد في الأدب العالمي قصص حبٍّ وعشقٍ خرجت عن مألوف الناس، كعشق روميو لجوليت، في الأدب الإنكليزي، وشيرهاد لشيرين في الأدب الفارسي، وقيس لليلى في الأدب العربي الذي ورد فيه أنَّ قيساً كان يتبدل حاله بين العقل والجنون بسبب لقائه ليلى.

وبغضّ النظر عن واقعية تلك القصة، واعتماداً على المعروف منها، فلو أنَّ قيساً كان يجلس مع ليلى، فهو يعتبر أنّ جلوسه معها يُمثِّل قمة السعادة وغاية الكمال المنشود، فلو أنه أثناء جلوسه مع معشوقته اضطرَّ إلى تركها نصف

ساعة ليُعطي الدواء لأُمِّه المريضة، ثم عاد إليها، فما هو الحكم المناسب لذهابه إلى والدته لأجل مداواتها؟

فمن الواضح أنّ هذا العمل، بلغة العقل والمجتمع، هو حسن، بل من أوجب الواجبات، وأفضل ما يقوم به الإنسان في حياته من أعمال.

ولكن إذا أردنا الحديث عن موقف قيس حينما يرجع إلى ليلى -وهي عارفة بما قام به- وقد تركها نصف ساعة، فهل يعود بشكل طبيعي بدون اعتذار؟ أو أنه يعتذر إليها لغيابه عنها نصف ساعة، على رغم ضرورة ما قام به؟ الجواب بلغة القلب: أنه يعتذر إليها، على قاعدة أنّ للعقل لغة، وللقلب لُغة أُخرى، ففعله بلغة العقل حسنٌ، وبلغة القلب بحاجة إلى اعتذار.

وهكذا هو حال الأنبياء عليهم السلام في كثير من حالاتهم التي يعتبرون فيها أنّ خلوتهم مع اللّه تعالى، وقيامهم بين يديه -عزَّ وجل- تُمثِّل لهم قمة الكمال الإمكاني، والعبودية الإنسانية. لذا فهم حينما ينصرفون من بين

يدي اللّه تعالى لأجل القيام بأمور لا تخلو من حُسْن، فإنَّهم يرجعون إلى اللّه تعالى في خلوتهم معه، معتبرين ما صدر عنهم بأنه ذنب، وعليهم أن يستغفروا اللّه بسببه. وهذا من مصداق القول المعروف: «**حسنات الأبرار سيِّئات المقرّبين**»[1]

والخلاصة:

أولاً: أنّ الذنب لا يعني -دائماً- الإثم باعتباره معصية لأوامر اللّه الإلزامية.

ثانياً: أنّ الذنب قد يُطلق على أمر حسن بذاته، لكنّه ليس كذلك باعتبار مقام بعض الناس وأولويّاتهم.

ثالثاً: أنّ الذنب قد يُطلق على أمرٍ ليس فيه حُسن ذاتي، إلاّ أنّه يُعدّ جرماً لبعض الاعتبارات دون بعضها الآخر.

عودة إلى آيتي الفتح

وبناءً على ما تقدّم اتضح أنَّ المُراد من الذنب المُتقدِّم

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، الجواهر السنية،(لا،ط)، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٦٤م. ص٨٣.

والمُتأخر، في الآيـة الثانية من سورة الفَتّح، ليس الإثم والمعصية، فما هو المُراد منه إذاً؟

إنَّ التأمل بسياق الآية في ضوء السيرة النبوية يوصل إلى أنّ المراد من ذنب النبي ﷺ من آيتي الفَتّح هو التبعة السيِّئة التي لدعوته ﷺ عند الكفار والمشركين، فقد تأذّى المشركون والكافرون كثيراً من دعوة رسول اللّه ﷺ التي اعتبروها مقوِّضة لأركان تراثهم وما يعتبرونه ديناً لهم، وبالتالي لعزّتهم وكرامتهم أمام سائر العرب وغيرهم. لذا كانوا يعتبرون ما قام به النبِّي ﷺ من الدعوة إلى الإسلام، ومناهضة عبادتهم للأوثان ذنباً كبيراً أرادوا أن يؤكِّدوا نظرة الناس إليه كذَنّب، ويروِّجوا ذلك في أوسع بقعة يتمكنون منها.

ولأجل ذلك شنّوا هجوماً على النبي ﷺ منذ بداية الإعلان عن دعوته من خلال الدعاية المُشوِّهة لصورته ودينـه الـذي كان ﷺ يدعوهم إلـيـه، فنعتوه بالساحر والمجنون والشاعر المختلق للقرآن، بل ورد أنهم كانوا

في مراسم الإقبال على مكة يجعلون بعض رجالهم قرب النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم ليشوِّشوا عليه ويشوِّهوا صورته بنعته بتلك الصفات السلبية.

وقد أثَّرت هذه الدعاية بشكل كبير في العرب فحالت بين عقولهم وتأثُّرها بالمنطق النبوي، وبين قلوبهم وتوجُّهها نحو رسالته الإلهية.

نعم لقد اختلق أهل قريش قضية كاذبة حول شخصية النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته، وعمَّموها على البلدان، وسيطروا بها على عقول كثير من العرب وقلوبهم، فأصبحت عقولهم وقلوبهم مُغلقة أمام دعوة الإسلام.

لقد كان عمل أهل قريش يُركّز على إدراك الإنسان؛ لأنّ من يستطيع السيطرة عليه يُمكنه تسيير الإنسان بالوجهة التي يريد؛ إذ أنّ سلوك الإنسان تابع لإدراكه وعلمه، وليس لواقعية الشيء، فالإنسان الذي تقترب منه أفعى سامة، وهو لا يعلم بوجودها، فإنّه لا يتحرك من مكانه ولا يهرب منها، فإذا علم بها، فإنه يتحرك هارباً. وهذا يدلُّ على

أنّ الذي يحرِّك الإنسان ويؤثِّر في سلوكه هو إدراكه، وليس وجود الشيء الواقعي.

وهكذا نلاحظ أنّ نظرة الإنسان إلى الإنسان الآخر وسلوكه معه لا يكونان بحسب ما هو عليه الآخر من واقع، بل بحسب إدراك الإنسان الذي قد يكون وهماً لا حقيقة. بل إنّ الإنسان قد لا يتفاعل مع قيمة عالية لعدم إدراكه لها، فقد يطوف المؤمن حول الكعبة الشريفة وكتفه إلى جنب كتف إمام الزمان وصاحب العصر عجّل الله فرجه الشريف، لكنه لا يتأثر بذلك بسبب عدم معرفته به، في حين أنه لو عرفه ستكون حالته مما يصعب توصيفها. وقد يعتقد الإنسان بمقام إنسان آخر، فيقدِّره، ويحترمه، ويجلّه، مع أنّه قد يكون واهماً في اعتقاده.

إذاً ما يحرك الإنسان ويؤثِّر في سلوكه هو إدراكه، وليس الواقع المجرَّد عن ذلك الإدراك.

وهذا يسري على حال الفرد والمجتمع، فإنّ من يريد أن يغيِّر مجتمعاً ما عليه أن يسيطر على إدراك أبنائه

ليحصل التغيير، فيمكن للإنسان أن يحوِّل أسطورة وهمية إلى حقيقة في أذهان الناس، ويتمكن من جعلهم يعتبرونها قضية حقَّة يرتِّبون عليها الآثار والنتائج،كما هو الحال في اختراع اليهود قصة «الهولوكست» (المحرقة اليهودية) التي استطاعوا أن يزرعوها كحقيقة في أذهان الكثير من الناس في العالم، كقضية تعبِّر عن قمة المظلومية للشعب اليهودي، حتى أثَّر ذلك في الحكومات التي تدَّعي حُرِّية التعبير والفكر في العالم الغربي، فإذا بها تحكم بالسجن والملاحقة على مُفكِّرين كبار؛ لأنهم شكَّكوا في قصة «الهولوكوست».

وكذلك قصة «الماسادا» التي تحكي عن قتل ٩٠٠ يهودي لم يُسلِّموا أنفسهم للرومان في ملحمة بطولية مزعومة، فإنّ المحققين يؤكِّدون أنَّها لا أثر لها في التاريخ سوى ما رُويَ عن مجموعة من المشاغبين اليهود انتحروا أثناء حصارهم من قبَل الرومان.ومع ذلك جعل اليهود «الماسادا» رمزاً للتضحية حتى إنّ الجندي الإسرائيلي

يذهب إلى نُصب «الماسادا» حينما يريد أن يقسم يمين الولاء للكيان الصهيوني.

وهكذا حال الكثير من القضايا المُختَرَعة التي يُحوِّلها الإعلام من خلال معركة الإدراك والوعي إلى ما يعتقده الآخرون حقائق. كما تفعل اليوم أمريكا في حربها الناعمة ضدّ الإسلام وقيمه.

وبالعودة إلى أهل قريش الكافرين فقد مارسوا لعبة الإدراك بذكاء وشيطنة حتى استطاعوا أن يؤثِّروا في عقول العرب وقلوبهم بشكل كبير بحيث إنَّ الدعاية المنتشرة المشوِّهة لصورة النبي ﷺ ودينه أضحت قابلة للاستمرار بشكل مركّز في المستقبل.

فعقول العرب وقلوبهم كانت مُغلقة بشكل مُحكم قابل للاستمرار والبقاء، بحيث كان ذلك مانعاً من دخولهم إلى دين اللّه تعالى.وبعبارة أُخرى كان النبي ﷺ في نظرهم مُذنباً ذنباً كبيراً كما تقدَّم في ما قام به من الدعوة، وسيستمرُّ ذنبه في المستقبل طالما هو سائر في دعوته.

من هنا كان هذا الإغلاق للعقول والقلوب مانعاً من دخول الناس في دين اللّٰه أفواجاً، فكيف يُحدث النبي صلى الله عليه وآله وسلم تغييراً في المُجتمع، وفتحاً لعقول أبنائه وقلوبهم؟ وبالتالي كيف ينجح في نشر الدين الإسلامي بدون عقبات وموانع، فيفتح بنجاحه الأبواب المغلقة؟

عناصر نجاح الدعوة

هناك ثلاثة عناصر أساسية لنجاح الدعوة وفتحها للمُغلق هي:

١. قوة الأطروحة.
٢. مصداقية صاحب الأطروحة.
٣. التضحية بالأعزّ.

وهذه العناصر نجدها واضحة في دعوة النبِّي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. فأطروحته هي الإسلام، الرسالة الخاتمة التي تُمثِّل أعظم رسالة تُحقق الكمال الإنساني. وهي تعتمد على العقل القطعي الذي يواكبه ويكشف عمَّا لا يطاله النصُّ

الإلهي الذي تُفصِّله وتكشف خباياه السُنَّة النبوية الشريفة.

وقد دعم هذه الأطروحة إعجاز بياني عجز ويعجز الناس عن الإتيان بمثله، ولو كان سورة قصيرة من سور القرآن، وإعجاز واكب النص في دلالة الصدق.

أمَّا مصداقية صاحب الأطروحة فكان لها أثر كبير في تأثُّر الناس بالرسالة،وكما يقول أحد المستشرقين: إنّ الإسلام لو نزل قرآناً بدون أن يرتبط بسيرة وسلوك محمد بن عبد اللّه ﷺ لما أثّر ذلك في انتشاره الواسع، فإنّ ما أثَّر في ذلك هو أنَّ المسلمين كانوا يسمعون ويقرؤون القرآن، ويرَوْنه ناطقاً متجسِّداً في سيرة ومسلك نبيِّ الإسلام ﷺ، وهذا ما أدَّى إلى ذلك الانتشار الكبير.

وكنموذج على تأثير المصداقية نعرض قصة ذلك الجار اليهودي الذي كان كثيراً ما يؤذي رسول اللّه ﷺ، فكان يضع كلَّ يوم نفاياته قرب باب النبي ﷺ، ولم يصدر عن الرسول الأكرم ﷺ أي موقف سلبي منه رغم طول المدة في هذا الأذى.

وذات يوم خرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم من بيته، ولم يجد أثراً للنفايات، فتعجَّب وسأل عن سبب ذلك، فقيل له: إنّ اليهودي مريض. وهنا انبرى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ليُجسِّد أمام أصحابه قيمة مهمَّة من قيم الإسلام، ألا وهي زيارة المريض، لا سيّما إذا كان جاراً. فذهب لزيارته مطمئنّاً عن صحته. وحينما علم اليهودي ما قصده النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زيارته من قيمة عاليةٍ عَلِم بأنّ هذه الأخلاق هي أخلاق أنبياء، فإذا به يقرّ أمام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين: «**أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أنّ محمداً رسول اللّه**».

إنَّ هذا اليهودي، رغم أنه قد سمع الأطروحة القوية، لم يتأثَّر، أوّل الأمر، إلا أنّه تأثّر بتلك المصداقية الحقة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. ولهذا شواهد كثيرة في حياة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا التضحية بالأعزّ، فإنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كان المقدام الأول في طريق التضحية بنفسه وبأحبّ الناس إليه، وهو الذي كان الأول في ميدان القتال، فكان أصحابه يلوذون

به، وكما يُعبِّر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لقد رأيتُنا يوم بدر نلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أقربنا إلى العدوّ، وكان من أشدّ الناس بأساً»[1]. وقدَّم صلّى اللّه عليه وآله في بداية هذه المعركة، أهل بيته وخاصّة عائلته دون بقية المسلمين، وهكذا في المحطات الأُخرى من سيرة حياته.

ولعلَّ ما يوضّح هذه العناصر الثلاثة في حياة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قضية المباهلة، فقد روى القُمّي في تفسيره بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ نصارى نجران لما وفدوا على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وكان سيدهم الأهتم والعاقب والسيد، وحضرت صلاتهم، فأقبلوا يضربون بالناقوس، وصلّوا، فقال أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: هذا في مسجدك؟! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «دعوهم». فلما فرغوا دنوا من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: إلى ما تدعونا؟ فقال: «إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه، وأني رسول الله، وأنَّ عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة،ط١، قم، دار الحديث، ١٤١٦هـ، ج٣ ص٢٢٤٠.

ويُحدث»، قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**قل لهم ما تقولون في آدم** عليه السلام**، أكان عبداً مخلوقاً، يأكل، ويشرب، وينكح»**؟ فسألهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: نعم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**فمن أبوه»**؟ فبهتوا، فبقوا ساكتين، فأنزل الله:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فباهلوني، فإنْ كنت صادقاً أُنزلت اللعنة عليكم، وإنْ كنت كاذباً نزلت عليّ»**. فقالوا: أنصفت، فتواعدوا للمباهلة، فلما رجعوا إلى منازلهم، قال رؤساؤهم السيد والعاقب والأهتم: إن باهلَنا بقومه باهلناه؛ فإنه ليس بنبي، وإن باهلَنا بأهل بيته خاصة، فلا نباهله؛ فإنه لا يقدم على أهل بيته إلا

(١) سورة آل عمران، الآيات ٥٩-٦١.

وهـو صـادق. فلما أصبحوا جـاؤوا إلـى رسول اللّه ﷺ، ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات اللّه عليهم، فقال النصارى: من هـؤلاء؟ فقيل لهم: هذا ابن عمه، ووصيُّه وخَتَنُه [أي صهره] علي بن أبي طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين عليهما السلام، فعرفوا، وقالوا لرسول اللّهﷺ: نعطيك الرضى، فأعفِنا من المباهلة، فصالحهم رسول اللّه ﷺ على الجزية وانصرفوا.[١]

فالملاحظ في قصَّة المباهلة أنَّ النبَّيﷺ انطلق في البداية في حواره معتمداً على قوَّة الأطروحة، إلا أنَّ ذلك لم ينفع معهم، فلجأ إلـى الخيار الثاني الـذي يدلُّ على العنصرين الآخرين وهما المصداقية والاستعداد للتضحية بالأعزّ، وهذا ما أدركه جيداً رؤساء الوفد الذين اعتبروا أنَّ مجيء النبِّي ﷺ بأهل بيته –وهم الأعزّ على

(١) القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، ط٣، قم، دارالكتاب، ١٤٠٤هـ، ج١، ص ١٠٤.

قلبه- يُمثِّل المصداقية العالية والاستعداد للتضحية بهم، وهذا ما دعاهم إلى التراجع والقبول بالجزية.

إلا أنَّ هذه العناصر الثلاثة رغم توافرها (مع ملاحظة أنَّ العنصر الثالث كان في مستوى الاستعداد لا الفعلية لعدم توفر الظروف الموضوعية) لم تفلح في صناعة فتح العقول والقلوب بشكل عام، وبالتالي فتح باب الإسلام على مشراعيه أمام الوافدين. إلا أنَّ اللّه تعالى منَّ على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بعنصر رابع هو النصر العسكري الذي هُـزِم من خلاله أهـل قريش في مكة، وفُتحت به أبوابها أمام المجاهدين المسلمين حينها. وبعد النصر العسكري، تحقق الفَتّح الأكبر لعقول الناس وقلوبهم، فأنزل اللّه تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1]. وبهذا انتصرت رسالة الإسلام على لعبة الإدراك القريشية في تشويه صورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودينه، فكانت عاقبة النصر والفتح ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ

(١) سورة الفتح، الآية ١.

﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[١]، فبَطُلَ خداعهم، وذهب تشويههم ماضياً ومستقبلاً أدراج الرياح، وعندها، وبعد أن ﴿...جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ ... رَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[٢].

الفتح الحسيني

نعم، لقد استطاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يفتح عقول الناس وقلوبهم من خلال عناصر أربعة:

١. قوة الأطروحة.

٢-مصداقية صاحبها.

٣. الاستعداد للتضحية بالأعزّ.

٤. النصر العسكري.

إلا أنَّ فتحاً يشابه هذا الفَتْح حصل بعد حوالي خمسين عاماً من هذا الفتح، فيه قوَّة الأطروحة امتداداً لقوَّتها من

(١) سورة الفتح، الآية ٢.

(٢) سورة النصر الآيتان ١ و٢.

رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه مصداقية صاحبها المتماهي بكلّه مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكنها استبدلت النصر العسكري بالتضحية بالأعزّ فعلاً لا استعداداً، كما حصل في زمن الرسالة، وذلك في أروع مشاهد التضحية في التاريخ.

ومن الطبيعي أن يُطرح عند هذا الكلام سؤال عن الإغلاق الذي احتاج إلى هذا الفتح، فما الذي حصل لتُغلق العقول والقلوب ثانية وتحتاجَ إلى فتح جديد؟

الإغلاق بعد الفَتّح النبوي

إنَّ الإضاءة على السنوات العشرين التي حكم فيها معاوية ابن أبي سُفيان تُبيِّن لنا حقيقة التحوُّل الذي حصل في الأمة، فأُغلقت عقول أبنائها وقلوبهم.

أبتدئ بما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة، فقد قال: «**روى الزبير بن بكار في الموفّقيات، وهو غير مُتَّهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة علي عليه السلام،**

والانحراف عنه -: قال المطرف بن المغيرة ابن شعبة: دخلت مع أبـي على معاوية، فكان أبـي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إليَّ، فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة، فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتمًّا، فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمـر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتمًّا منذ الليلة ؟ فقال: يا بني، جئتُ من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك ؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغتَ سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرتَ عدلاً، وبسطتَ خيراً؛ فإنك قد كبرت، ولو نظرتَ إلـى إخوتك من بني هاشم، فوصلتَ أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإنّ ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات هيهات ! أيّ ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تَيْم فعدل، وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عَدِيّ، فاجتهد وشمَّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، وإنّ ابن

أبي كبشة[١] لَيُصاح به كلَّ يوم خمس مرات: (أشهد أنّ محمداً رسول الله)، فأيُّ عمل يبقى، وأيُّ ذكرٍ يدوم بعد هذا، لا أباً لك ! لا والله إلا دفناً دفناً!!»[٢].

إنَّ هذه الرواية تُسلِّط الضوء على الخلفية الثأرية في سياسة معاوية بن أبي سفيان الذي كان يرى أنَّ محمد بن عبد الله قد أذلَّ بني أمية وأخذ عزَّهم بقوة السلاح، لذا سعى معاوية جاهداً للقضاء على إسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبر تفريغه من مضمونه ومحتواه الحقيقي، وقد أدرك الكثير من البحَّاثة -من المسلمين وغيرهم- هذه الحقيقة، وهذا ما نقرأه في كتاب نيكلسون، حسب ما نقله الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام، إذ يقول ذلك المستشرق: **«اعتبر المسلمون انتصار بني أمية وعلى رأسهم معاوية انتصاراً للأرستقراطية الوثنية**

(١) المراد به رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسبب هذه التسمية، هو قصة فداء جدّه عبد المطلب ولده عبد الله (والد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم) بكبش، فلذا أطلق على عبد الله بن عبد المطلب «أبو كبشة».

(٢) المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م. ج٥ ص ١٣٠.

التي ناصبت رسول الله ﷺ وأصحابه العداء، والتي جاهدها رسول الله ﷺ حتى قضى عليها، وصبر معه المسلمون على جهادها، ومقاومتها حتى نصرهم الله، فقضوا عليها، وأقاموا على أنقاضها دعائم الإسلام، ذلك الدين السمح الذي جعل الناس سواسية في السراء والضراء، وأزال سيادة رهط كانوا يحتقرون الفقراء، ويستذلون الضعفاء، ويبتزون الأموال، لذلك لا ندهش إذا كره المسلمون بني أمية وغطرستهم وكبرياءهم وإثارتهم الأحقاد القديمة، ونزوعهم للروح الجاهلية، ولا سيما أنّ جمهور المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجالاً كثيراً لم يعتنقوا الإسلام إلا سعياً وراء مصالحهم الشخصية. ولا غرو، فقد كان معاوية يرمي إلى جعل الخلافة ملكاً كسروياً، وليس أدلَّ على ذلك من قوله: أنا أول الملوك»[١].

(١) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٤م، ج١، ص ٢٧٨-٢٧٩.

نعم، إن قراءة سلوك معاوية وسياساته تظهر بوضوح ما كان يخفيه من هدف القضاء على المضمون الحقيقي للإسلام المحمدي الأصيل.

خطوات معاوية لتحقيق المشروع الأموي

وقد سلك معاوية لأجل تحقيق هذا الهدف خطوات عديدة نذكر منها:

١ - التحريف في العقيدة الإسلامية

حاول معاوية أن يُغيِّر أساساً عقائدياً ليكون في خدمة نجاح خطته وتوطيد سُلطانه، فتظاهر بعقيدة الجبر[١]؛ ليكون ذلك مسوِّغاً لأفعاله الظالمة بنظر الناس، فعلى مبدأ الجبر لا يكون له الخيار في هذه الأفعال، بل يكون مجبراً عليها، وبالتالي فإن أفعاله هي من اللّه تعالى، فلا يجوز أن يعترض عليها أحدٌ.

كما تظاهر معاوية بعقيدة الإرجاء[٢]، التي تعتبر أنَّ

(١) انظر، المعتزلي، ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص ٣٤٠.
(٢) المصدر السابق.

الإيمان هو عمل قلبي خالص لا يحتاج إلى التعبير عنه بفعل من الأفعال، فيكفي الإنسان أن يكون مؤمناً بقلبه ليعصمه الإسلام، ويحرم الاعتداء عليه.

فمن مشهور أقوال المرجئة: **«لا تضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة»**[1]. بل قالوا: **«إنَّ الإيمانَ الاعتقادُ بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه، وعبد الأوثان، أو لزمَ اليهودية والنصرانية في دار الإسلام، وعبدَ الصليب، وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عزَّ وجل ومن أهل الجنة»**[2].

ومن الواضح مدى استفادة معاوية وبقية الأمويين من هذه العقيدة التي تجعلهم مؤمنين مهما ارتكبوا من الكبائر.

(١) الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف لعبد الرحمن الإيجي، ط١،مصر، مطبعة السعادة، ١٩٠٧م. ج٨، ص ٣٧٧.

(٢) أيوب، سعيد، معالم الفتن، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٦هـ، ج٢، ص ٣٧٤.

وقد كان المرجئة يبشّرون بهذه الأفكار بين صفوف الأمة المسلمة لأجل تخديرها، وصرفها عن الاستجابة لدعاة الثورة على الأمويين.

وبينما نجد الأمويين يضطهدون كل دعوة دينية لا تلائمهم نراهم بالنسبة إلى المرجئة على العكس من ذلك، فهم يحتضنون هذه الفرقة، ويعطفون على قادتها، وما ذلك إلا لأنّ معاوية سيدهم هو واضع أُسسها[١].

٢- التغيير في الشريعة الإسلامية

كتب الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ رسالة لبعض زعماء الكوفة قال فيها: «وإنّما أدعوكم الى كتاب الله، وسُنّة نبيّه؛ فإنّ السُّنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت»[٢]. ومعنى البدعة هو إدخال شيء في الدّين وهو ليس من الدّين، وإماتة السُّنّة وإحياء البدعة، إن كانا في الممارسة العملية

(١) شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، (لا،ط)، قم، (لا،ت) ص ١١٧.

(٢) الأمين، محسن أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (لا ط)، بيروت، دار التعارف ج١ ص ٥٩٠ (لا ت).

فهذا أمرٌ خطير، إلا أنّ الأخطر منه أن يكون ذلك بتغيير المفاهيم والأحكام.

وفي خطبة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أمام جيش الحرّ بن يزيد الرِّياحي أخبر عَلَيْهِ السَّلَامُ بنفس المضمون السابق قائلاً «.... وقد علمتم أنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولَّوا عن طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله...»[١].

سعى معاوية إلى تخدير الناس باسم الدين، عبر تحريف الأحكام الإسلامية السياسية، ليشلَّ بذلك الحركات الثورية المناهضة له، لا بقوة السلاح، بل بخلفية دينية أراد أن يزرعها في أذهان الناس من خلال أحاديثَ موضوعة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، اشترى علماء السوء ليبثُّوها في المجتمع، كذلك الحديث المروي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، تحقيق علي شيري، ط١، دار الأضواء ١٤١١هـ ج٥ ص٨١.

رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنّ من فارق الجماعة بشبر فمات، إلا ميتة جاهلية»[١].

وقد أدَّت هذه الأحاديث الموضوعة والتي كانت تدرَّس في الدواوين والكتاتيب إلى إيجاد حالة شعبية تعتقد بتحريم المعارضة ضدّ الحكم الظالم، بل تدعو إلى القضاء عليها، بغضّ النظر عن مدى صوابيّة طرحها، ومع عدم أخذ الممارسات الظالمة من قبل الحكومات بعين الاعتبار.

٣- التشويه في القدوة الأصيلة

أدرك معاوية جيداً أثر القدوة في العقيدة والسلوك، وهو قد لامس الآثار المهمَّة الناتجة في الاقتداء برسول اللّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما كان يسبب انزعاجه الكبير، كما تقدم.

---

(١) الحسني، هاشم معروف، دراسات في الحديث والمحدِّثين، ط ٢، بيروت دار التعارف ١٩٧٨ م. ص ٢٦٠.

تشويه صورة النبِّي محمد ﷺ

من هنا راح يخطّط ويسلك لتشويه صورة رسول الله ﷺ في أذهان المسلمين، من خلال شراء علماء السوء لنشر أحاديث كاذبة في ذلك والتي نقرأ -منها- وللأسف ما بقي إلى يومنا هذا.

- منها: ما رُوي في مناجاة منسوبة إلى الرسول الأكرم ﷺ: **«إنَّما أنا بشرٌ، فأيُّ المسلمين لعنتُه، أو سببتُه، فاجعلها له زكاة وأجراً»**[1].
- ومنها: ما روَوه أنه ﷺ ساعد إحدى زوجاته، لتنظر إلى رقص الحبشة في مسجده[2].
- ومنها: ما رووه من إقامة حفل موسيقى في منزله ﷺ من قبل جاريتين كانتا تدفِّقان، وتضربان، فدخل عليه أبو بكر، وانتهرهما، فقال له ﷺ: **«دعهما يا أبا بكر؛ فإنها أيّام عيد»**[3].

---

(١) النيسابوري مسلم، صحيح مسلم، (لا،ط) بيروت، دار الفكر، ١٩٩٢م، ج٢، ص٥٣٠.

(٢) البخاري، محمدبن اسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٩١م، ج١، ص١٣٣.

(٣) المصدر السابق ج٢، ص١٣.

لقد أدّى هذه التشويه الفاضح للصورة المقدَّسة لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أن ينبري أحد الولاة على منابر المسلمين، ويقول لهم: «أخليفة أحدكم أكرم عند الله أم رسوله؟!»[١].

تشويه صورة الإمام علي عليه السلام

وفي نفس المسلك الهادف إلى تشويه القدوة الأصيلة لمنع تأثيرها في المجتمع الإسلامي خطَّط معاوية وسلك في تشويه صورة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فاشترى سَمُرَة بن جندب بـ ٤٠٠ ألف درهم -وفي بعض الروايات ٥٠٠ ألف درهم- ليروي أنّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ .... لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[٢] نزل في علي بن أبي طالب.

وأنّ قوله تعالى﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾[٣] قد نزل في عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

(١) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، (لا،ط)، بيروت، النعمان، ١٩٩٠، ج٣، ص ١٧.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٠٧.

(٤) الحسني، هاشم معروف، دراسات في الحديث والمحدثين ص١٠٣.

وكتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله: «أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب [أي الإمام علي عليه السلام] وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويبرؤون منه، ويعقُّون فيه، وفي أهل بيته»[١].

بل ذكر ابن أبي الحديد أنّ الأمويين منعوا الناس أن يسمّوا أبناءهم باسم علي[٢].

وقد ذكر التاريخ أنّ كثيراً من الناس كانوا يتفرَّقون بعد صلاة العيد حتى لا يسمعوا الخطيب يلعن علياً، فأحدث معاوية تقديم خطبة العيد على الصلاة؛ لكي يسمع الناس لعن علي عليه السلام[٣].

معاوية قدوة دينية !!

ومقابل التشويه الكبير لصورتي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام حاول معاوية أن يدخل نفسه قدوة

(١) المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج١١، ص٤٤.
(٢) المصدر السابق، ج١ ص١٧.
(٣) العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، ج١ ص ٣٦٦- ٣٦٧.

دينية في المجتمع الإسلامي، فأخذ يعمل على بثّ الأحاديث الكاذبة في ذلك، والتي منها ما رُوي كذباً على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«الأمناء عند الله ثلاثة: أنا، وجبرئيل، ومعاوية»[(١)].

«أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها، ومعاوية حلقتها»[(٢)].

وأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ناول معاوية سهماً وقال له: **«خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة»**[(٣)].

ولكي يؤكد معاوية موقعه الديني المتقدم في المجتمع الإسلامي نصَّب أناساً يدعون له، وللمتعلِّقين به بعد الصلاة، فعن الليث بن سعد: **«وأما قصص الخاصة، فهو الذي أوجده معاوية، ولّى رجلاً على القصص، فإذا سلَّم من صلاة الصبح، جلس، وذكر اللّه عز وجل، وحمده،**

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد، لسان الميزان، ط ٢، بيروت، الأعلمي، ١٩٧١، ج٤، ص٢٣٧.

(٢) الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ج ٧ ص ١٩٨.

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ، ج٥٩، ص ٩٥..

ومجده، وصلَّى على النبي ﷺ، ودعا للخليفة ولأهل بيته، وحشمه، وجنوده، ودعا على أهل حربه، وعلى المشركين كافة»[١].

٤- تفريق المجتمع الإسلامي

إضافة إلى سياسة التضليل الديني وتشويه القدوة التي مارسها معاوية، ولكي يحقق أهدافه في بسط سلطانه والقضاء على مضمون الرسالة المحمدية أخذ معاوية يزرع الفتنة بين القبائل منتهجاً نهج «**فرِّق تسد**»؛ ليستطيع بذلك القضاء السهل على أية معارضة تعمل ضده.

وكانت أولوية معاوية في هذه السياسة البلدان التي يصعب فيها التشويه الديني كالمدينة ومكة ومدن العراق، مقابل بعض البلدان المفتوحة كالشام التي كان من السهل تشويه دينها وتغيير قيمها.

ومن شواهد هذه السياسة ما قاله معاوية لرسوله إلى

---

(١) شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين، ص ١١٩ نقلاً عن فجر الإسلام ص ١٥٩.

البصرة طالباً منه أن يُذكِّرهم بحرب الجمل، وبقتل عثمان قائلاً: «**فانزل في مُضَر، واحذر ربيعة، وتودَّد الأزد، وانعَ ابن عفَّان، وذكِّرهم الوقعة التي أهلكتهم، ومنَّ لمن سمع وأطاع دنيا لا تَفنى وأثرةً لا يفقدها**»[١].

٥- إرهاب الناس

وتحقيقاً لأهدافه مارس معاوية سياسة الإرهاب والقتل والتعذيب والتشريد لا سيَّما في المناطق التي يصعب فيها -كما قلنا- تحريف الدين وتشويه قادته، وكان من أبرز أساليبه القتل وحرق البيوت وسلب الأموال، حيث قُتل في المدينة ومكة ثلاثون ألفاً عدا من أُحرق بالنار[٢]، «**وكان أشدَّ الناس بلاءً أهلُ الكوفة؛ لكثرة من بهم من محِّبي علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وقطع الأيدي والأرجل، وأعمى العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطرد الكثير منهم، وشرّدهم عن العراق**»[٣].

---

(١) شمس الدين محمد مهدي، ثورة الحسين، ص٨٩.
(٢) المرجع السابق، ص ٦٨.
(٣) المرجع السابق، ص ٧٠.

وقد نقل المؤرخون أنه شرَّد من الكوفة خمسين ألفاً من أهلها ليغيّر الوضع الديمغرافي فيها[١]. وقد بلغ إرهاب معاوية حدًّا جعل الرجل يفضّل أن يقال عنه: إنه زنديق أو كافر، ولا يقال عنه: إنه من شيعة عليّ[٢].

ولم يتورَّع معاوية، وكذا ولاته في ممارستهم، عن أيِّ شيء.ويكفي شاهداً لذلك ما رُوي من جرائم فظيعة ارتكبها سمرة بن جندب أحد ولاة معاوية، فقد قتل في غداةٍ سبعة وأربعين رجلاً ممَّن جمعوا القرآن، وسبى نساء همدان، وباعهن في الأسواق، فكنَّ أول مسلمات اشتُرِين في الإسلام[٣].

وهدم دور أهل المدينة المنورة، وجعل يستعرض الناس، فلا يُقال له عن أحد: إنه شريك في دم عثمان إلا قتله[٤]. وقتل ثمانية آلاف من أهل العراق، وحينما قيل له:

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٤.
(٢) المرجع السابق، ص٦٩.
(٣) المرجع السابق، ص ٧٣.
(٤) المرجع السابق،ص ٧٣.

هل تخاف أن تكون قتلت أحداً بريئاً؟ فردَّ قائلاً: لو قتلت مثلهم ما خشيت[١]. وقد فعل كل ذلك لدعم ملك معاوية، وقد قال في ذلك: لعن اللّه معاوية، واللّه لو أطعت اللّه كما أطعت معاوية ما عذبني أبداً[٢].

آثار سياسات معاوية في المجتمع الإسلامي

عشرين سنة مارس معاوية تلك السياسات في المجتمع الإسلامي.

عشرين سنة ضلّل معاوية المجتمع محرِّفاً في عقيدته، مغيِّراً في أحكامه، مشوِّهاً صورة القادة الحقيقيين له، مفرِّقاً أبناءه، مسلطاً سيفه على كل من عارضه، مرهباً كل من لم يوالِهِ.

عشرون سنة مضت على حكم معاوية تحوَّل فيها المجتمع الإسلامي إلى ما يمكن تقسيمه إلى قسمين:

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، (لا،ط)، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٩م، ج٤، ص ١٧٦.

(٢) شمس الدين،محمد مهدي، ثورة الحسين، ص ٧٣.

١. قسم أثَّرت فيه سياسة التضليل الديني أثرها، فتخدّر باسم الدين، واتخذ معاوية قدوته الأولى، منشدًّا نحوه لتحقيق ما يريد منه، حتى لو كان يخالف قيم الإسلام الأصيلة، وتشوَّهت لديه صور القادة الإلهيين حتى وصل الأمر بمجتمع أهل الشام الداخل في هذا القسم إلى أن يتعجَّب من قول المنادي: قتل علي بن أبي طالب وهو يصلي في المسجد، وسبب تعجبه عبَّر عنه بعض الناس في ذلك المجتمع: أو كان عليٌّ يصلي؟!!!

٢. والقسم الآخر لم تستطع سياسة التضليل الديني أن تؤثِّر فيه، لكنّ الإرهاب والقتل والتشريد والتفريق أخذت فيه كلَّ مأخذ، فأصبح مجتمعاً مهزوماً هزيمة يصعب تصوّرها. وقد نقل التاريخ بعض مشاهدها من مجتمع الكوفة الداخل في هذا القسم حينما تجمَّع مع مسلم بن عقيل سفير الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعةُ آلاف مقاتل وأحاطوا قصر الإمارة الذي لا يوجد فيه ما يزيد على ثلاثين رجلاً، لكن أربعة آلاف انهزموا أمام الثلاثين.

وسبب ذلك هو الهزيمة النفسية لذلك القسم من المجتمع، والتي جعلت الأم تسحب ولدها من جيش مسلم، والأب يُرجع ابنه، والأخ يحبِّط معنويات أخيه، والجار يخيف جاره، حتى بقي مسلم وحده.

ومن مشاهد الهزيمة النفسية لذلك المجتمع ما حصل مع حبيب ابن مظاهر حينما استأذن أبا عبد اللّه الحسين عليه السلام ليدعو بني أسد لنصرته، فأذن له الإمام عليه السلام ، فلما أتاهم ودعاهم أجابه منهم عشرات فقط، ولكن مع ذلك، وقبل أن يصلوا إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام ، حصل تصادم بينهم وبين فرقة من جيش ابن سعد، كانت نتيجته ليس انسحاب هؤلاء فحسب، بل انسحاب جميع أفراد قبيلة بني أسد في جوف الليل خوفاً من ابن سعد، مما جعل حبيباً يرجع إلى الإمام الحسين دون أيٍّ واحد منهم[١].

بل إنَّ خوف المُجتمع يُقرأ في كلمات الكبار حينما

---

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين،ط٢، قم، دار الثقافة، ١٤١١ هـ، ص٢١٠.

خاطبوا الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ من مُنطلق حرصهم عليه، عندما قرَّر الخروج إلى العراق.

فها هو ابن عباس يقول له: «**أتخوَّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال**»[1].

وها هو عبد اللّه بن جعفر يكتب إليه: «**إني أسألك اللّه لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا؛ فإني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك**»[2].

وها هو عمر بن لوذان يقول للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أنشدك باللّه، يا ابن رسول اللّه لمّا انصرفت، فواللّه ما تقدم إلا على الأسنّة وحدِّ السيوف**»[3].

هذا هو حال مجتمع السنوات العشرين الذي تسلَّط عليه معاوية وعايشه الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص٢١٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٦٧.

(٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى، ط١، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٧هـ، ج١، ص ٤٤٧.

إنه مجتمع مضلّل، مخدّر، مفرّق، خائف، في الوقت الذي يتعرَّض فيه الإسلام لأعنف حرب ثقافية تستهدف مضمونه الأصيل، دون أن يحرِّك أحدٌ ساكناً، والسبب هو إغلاق العقول والقلوب.

إغلاق للعقول نتيجة التضليل والتخدير.

وإغلاق للقلوب نتيجة الخوف والرعب.

رأى الإمام الحسين عليه السلام الخطر العظيم على دين اللّه ورسالته الخالدة، وعَلِمَ أنَّ فتح العقول والقلوب لن يتمّ من خلال خطابات ومحاضرات وكلمات ومواعظ، بل لا بد لتحقيق هذا الفتح -إضافة إلى قوة الأطروحة ومصداقية صاحبها- من التضحية بالأعزّ، التضحية بالنفس وبأهل البيت وبالأصحاب، لا بد من تقديم ذلك كله مع دموع اليتامى، وسبي النساء في مسار المذبح الإلهي المقدّس.

واستطاع الإمام الحسين عليه السلام من خلال ذلك ومن دون نصرٍ عسكري، أن يحقِّق الفَتْح الثاني لعقول الأمة وقلوبها، وبالتالي استطاع كما عبّر عنه حفيده الإمام

الخميني قدس سره أن يولد الإسلام ولادة ثانية، ليحقق بذلك المغزى العميق لمقولة جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فيه: «حسين مني وأنا من حسين»[(١)].

لعلّ أروع ما يعبِّر عن تطبيق عملي لمقولة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا هو جواب الإمام زين العابدين عليه السلام لذلك الرجل الذي سأل الإمام عليه السلام عمّن انتصر في كربلاء. فأجابه عليه السلام بأنّ علامة الجواب الصحيح هي أذان المسلمين، فحينما يقول المؤذِّن: أشهد أنّ محمداً رسول اللّه، يُعرف من انتصر في كربلاء.

إنه ليس انتصاراً عسكرياً، بل هو فتح لولاه لما بقي الإسلام.

هو فتح يَدين له كلُّ خير في الإسلام حصل بعده.

هو فتح يرجع إليه كلُّ فضل في الإسلام، حدث بعده.

هو فتح أسّس لجهاد المجاهدين، وشهادة الشهداء بعده.

هو فتح يعود بسببه إلى الفاتحين الكربلائيين ثواب كل عمل صالح كان رهناً ببقاء الإسلام.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط٢، ج٤٣، ص ٢٦١.

من هنا عبّر الإمام علي عليه السلام، وهو يستشرف حال هؤلاء الفاتحين الكربلائيين: «**مصارع عشاق شهداء، لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من بعدهم**»[1].

لقد صدق الإمام الحسين عليه السلام حينما أرسل لبني هاشم: «**من تخلَّف لم يبلغ الفتح**».

فمن تخلّف عن الركب الحسيني - بغض النظر عن كونه معذوراً أو لا - فإنه قد حرم نفسه من الفتح، حرم نفسه أن يكون من الذين لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحق بهم من جاء بعدهم.

حرم نفسه من ثواب جارٍ ما دام الإسلام، وكرامةٍ ما بعدها كرامة.

ويبقى سؤال:

ما الذي دعا هؤلاء إلى التخلف عن الفتح، ليحرموا بذلك أنفسهم من الكرامة العُظمى؟

هذا ما نبحثه في الباب الثاني «**المتخلّفون عن الفتح**».

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤١، ص٢٩٥.



الباب الثاني

المتخلّفون عن الفتح



المتخلّفون عن الفتح

الملاحَظ في برقيّة الإمام الحسين عليه السلام إلى بني هاشم أنه عليه السلام جعل المقابلة بين الشهداء والمتخلفين عن الفتح، ولم يكُن في مقام الحديث عن المشاركين في قتاله الذين هم أسوأ حالاً ممَّن أخبر الإمام الحسين عليه السلام عن مصيرهم بنصِّه عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**من سمع داعية أهل بيتي، ولم ينصرهم على حقّهم إلا أكبّه اللّه على وجهه في النار**».[1]

وإذا استثنينا المشاركين في الجيش القتالي، وبلحاظ استقراء تاريخ النهضة الحسينية، يمكن تصنيف المتخلفين عن الفَتْح إلى أصناف سبعة:

١. من التحق به من بداية التحرّك من مكة، لكنه انسحب أثناء الطريق.

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج٥، ص٤٧.

٢. من دعاه الإمام الحسين عليه السلام لنصرته أثناء توجهه إلى العراق، فلم يُلبِّ دعوة النصر.

٣. من اشترك في جزء من القتال، وانسحب قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

٤. من علم بخروج جيش ابن سعد لقتال الإمام الحسين عليه السلام، ولم يتحرَّك ناصراً.

٥. من هرب من جيش عمر بن سعد قبل بدء القتال.

٦. من شاهد الملحمة، ولم ينصر الإمام الحسين عليه السلام.

٧. من لم يلتحق بالإمام الحسين عليه السلام من بداية تحركه الأول، وهو متوجِّه نحو العراق.

وسنتحدث عن هؤلاء الأصناف في نقاط ثلاث:

الأولى: ذكر نماذج منهم.

الثانية: أسباب عدم الالتحاق.

الثالثة: مصير المتخلّفين في الآخرة.

الصنف (١): من التحق به من بداية التحرك من مكة، وانسحب أثناء الطريق

فقد ذكرت كتب التاريخ أنّ كثيراً من الناس التحق بالإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه من مكة إلى العراق، منهم من ثبت في الركب الحسيني كالمجاهدين البصريين السبعة الذين التحقوا بالركب بعد خطبة يزيد بن نبيط العبدي في البصرة في بيت مارية بنت منقذ الموالية لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد انتدب من أولاده العشرة للجهاد اثنين هما عبد الله وعبيد الله، وقال أمام جمع الحاضرين في بيت مارية: «إني قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج فمن يخرج معي؟»

فتضامن معه عددٌ قليل، وقال آخرون: «إنّا نخاف عليك أصحاب ابن زياد»؛ ذلك لأنّ حدود البصرة قد أُقيمت عليها المراصد للقبض على من يخرج، لكنه أصرّ على الخروج قائلاً: «إني والله، لو قد استوت أخفافها بالجدد، لهان عليَّ طلب من طلبني».

ثم انطلق مع ولديه وعامر بن مسلم العبدي، ومولى عامر، وسيف بن مالك العبدي، والأدهـم بن أمية العبدي، فكانت عِدَّتهم سبعة التحقوا بالركب الحسيني في منطقة يقال لها «**الأبطح**» من مكة[١]، وثبتوا إلى أن قضوا نحبهم عُشَّاقاً شهداء.

وحينما وصل الركب الحسيني إلى حي «**جهينة**»، تسّرب خبره بين منازل الحي، فلحق به عدد من الأعراب، ومن بينهم مجمع ابن زياد الجهني الذي شهد بدراً وأحداً[٢].

وفي منطقة «**زرود**» التحق زهير بن القين البجلي بعد أن التقى بالإمام الحسين عليه السلام، وكان في هذا اللقاء بُشرى من الإمام الحسين عليه السلام بالشهادة والفوز بالجنة من خلال حديث طالت عليه الأيام ونسيه زهير. بعدها رجع زُهير إلى أهله وأصحابه في القافلة، ليأخذ متاعه، ويُخبرهم بذلك الحديث، فقال لهم: «**من أحبّ منكم أن يتبعني، وإلا فهو آخر عهدٍ مني،**

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك،(لا-ط)، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٩م، ج٤، ص٢٦٣.

(٢) عابدين، محمد علي، الدوافع الذاتية لأنصار الحسين، ط٣، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٣، ص١٥٢.

إني سأُحدِّثكم حديثاً أنَّا غزونا «بلنجر» من بلاد الخزر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، ففرحنا، فقال لنا سلمان الفارسي رحمة الله عليه: «أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟. قلنا: نعم، قال: «إذا أدركتم سيّد شباب آل محمد ﷺ، فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه مما أصبتم من الغنائم».

ولم يستجب لحديثه الذي حدّثهم به سوى ابن عمه سليمان بن مضارب البجلي، فالتحقا معاً بالركب الحسيني، وغادر الآخرون.[١] وتابع الركب الحسيني طريقه نحو العراق، وكان الكثير من الناس والأعراب ينضمُّون إليه.

ملامح الخطر

بعد هذا بدت معالم الخطر تظهر، ففي منطقة «**الصفاح**» أو منطقة «**ذات عرق**» التقى الإمام الحسين عليه السلام بالفرزدق الذي وصف له أهل الكوفة بقوله: «**قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية**».

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥٤-١٥٦، وروى ذلك الطبري باختلاف يسير (انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك. ج٤، ص ٢٩٩).

لكنّ الإمام عليه السلام أكّد تصميمه أمام الفرزدق بأبيات شعر قال فيها:

لئن تكنِ الدنيا تُعَدُّ نفيسةً
فدارُ ثوابِ اللّهِ أعْلى وأنبلُ
وإن كانتِ الأبدانُ للموتِ أُنشئتْ
فقَتْلُ امرئٍ بالسيفِ في اللّهِ أفضلُ
وإن كانتِ الأرزاقُ شيئاً مقدّراً
فقلّةُ سعيِ المرء في الرزقِ أجملُ
وإن كانتِ الأموال للترك جَمْعُها
فما بال متروكٍ به المرءُ يبخلُ!

وقد فهم الفرزدق عزم الإمام عليه السلام، لكنه لم يلتحق به، بل سلّم وانصرف، فحرم نفسه من الفتح[1].

وبعيداً عن ملاقاة النّاس، وفي منطقة **«الثّعلبيّة»**، شاهد الإمام الحسين عليه السلام رؤيا عبّر عنها قائلاً لمن معه بشفافيته المعهودة: **«رأيتُ فارساً وقف عليَّ، وهو يقول:**

(١) المصدر السابق، ص ١٥٩، ١٦٠.

أنتم تسيرون والمنايا تُسرع بكم إلى الجنّة، فعلمت أنّ أنفسنا قد نُعيت إلينا. وهنا انبرى نجله علي الأكبر متفائلاً قائلاً لأبيه: «**أفلسنا على الحق**»؟!. فأجابه الإمام عليه السلام: «**بلى، يا بني، والّذي إليه مرجع العباد**» فقال علي الأكبر: «**إذاً لا نبالي بالموت**».(١)

خبر سقوط الكوفة

وفي منطقة زبالة علم الإمام الحسين عليه السلام بسقوط الكوفة، واستشهاد مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبد اللّه ابن يقطر، فقام خطيباً بين أتباعه، والملتحقين به، وقال لهم بكل شفافيّة: «**بسم الله الرّحمن الرّحيم، أمّا بعد، فإنّه قد أتاني خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبد اللّه بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحبَّ منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج، ليس عليه ذمام**».(٢)

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٧٩.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٣٠٠.

ينقل ابن جرير الطّبري عن أبي مخنف تعقيباً على خطاب الإمام عليه السلام: «فتفرّق النّاس عنه تفرّقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً حتّى بقي من أصحابه الّذين جاؤوا معه من المدينة».[1]

وأسباب انسحاب هؤلاء واضحة، فهم لم يكونوا عقائديين في التحاقهم بالرّكب الحسيني، بل التحقوا به ظنّاً منهم أنّه قادم على بلد قد استقامت له طاعة أهله، فيكونون معه من الظّافرين بالمكاسب الدّنيويّة، أمّا بعد أن ظهر خلاف ذلك، فقد فقدوا ذلك المسوِّغ للالتحاق، وبالتّالي لم يبلغوا الفتح.

الصنف(٢): من دعاه الإمام الحسين عليه السلام لنصرته أثناء توجهه إلى العراق، فلم يُلبِّ دعوة النصرة.

التقى الإمام الحسين عليه السلام بعدّة أشخاص أثناء طريقه، ودعاهم إلى نصرته،إلاّ أنّ قسماً من هؤلاء لم يستفد من الفرصة التّاريخيّة ليكون من الفاتحين، فلم

(١) المصدر السابق، ص ٣٠٠، ٣٠١.

يلبّ دعوة النّصرة، إمّا خاذلاً أو مقدّماً أموراً أخرى على الالتحاق المبكر، ونعرض من هؤلاء النماذج التالية:

١- الطرماح بن عديّ الطّائي

كان الطرماح دليل مجموعة من المجاهدين الّذين التحقوا بالرّكب الحسيني بعد محاصرته من قبل الحرّ بن يزيد الرّياحي، ومن هذه المجموعة نافع بن هلال المرادي، وعمرو بن خالد الصّيداوي، وسعد بن عبد اللّه مولى عمرو، وجنادة أو جابر بن الحارث السّلماني، ومجمع بن عبد اللّه العائذي، وولده عائذ.

وعلى الرغم من وضوح الشخصية الإيمانية الجهادية عند الطرماح، إلا أنَّ بعض ما ورد في تاريخه يؤثِّر في الحكم عليه بلحاظ منسوب الوعي، وترتيب الأولويات.

فهو ناشد الإمام الحسين عليه السلام أن لا يُقدم على أهل الكوفة قائلاً: «فأَنشُدُك اللّه إن قدرت على أن لا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت»[1].

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٣٠٦، ٣٠٧.

وكذلك اقترح على الإمام الحسين عليه السلام الذهاب إلى قبيلة «طيِّئ» عند جبل «أجا». وتكفَّل للإمام عليه السلام بعشرين ألف طائي يقاتلون بين يديه، فقال له: «**إن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك، ويستبين لك، فَسِرْ حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يُدعى «أجا»، امتنع به -والله- ملوك غسّان وحِمْيَر من النعمان بن المنذر أو من الأسود والأحمر. والله إنْ دخَلَ علينا ذلٌّ قَطّ، فأسير معك حتّى أنزلك القرية، ثم نبعث إلى الرجال ممن بـ «أجا» و«سَلَمى» من «طيِّئ»، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك «طيِّئ» رجالاً وركباناً، ثم أقم فينا ما بدا لك، فإن هامك هيج، فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم، والله لا يوصَل إليك أبداً ومنهم عين تطرف**»[1].

ومن الطبيعي، ولأسباب عديدة أن يرفض الإمام الحسين عليه السلام هذا الاقتراح، وهو الذي حصل.

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٠٦-٣٠٧.

ثم إنّ الطرماح واكب الركب الحسيني في مسيره متصدِّياً فيه لدور الدليل، وهو يحدو بنشيد جميل يقول فيه:

يا ناقتي لا تُذعري من زجري
وشمِّري قبل طلوع الفجرِ
بخير ركبانٍ وخير سَفرِ
حتى تَحلِّي بكريم النّجر
الماجد الحُرِّ رحيب الصدر
أتى به الله لخير أمر[١]

وقد قيل: إنَّ الطرماح بن عدي كان من بين شهداء كربلاء، وهذا يُخرجه من الصنف الثاني، ويُدخله في الفاتحين، إلا أنَّ ابن جرير الطبري روى عن ابن مخنف عن جميل بن مرثد أنّ الطرماح أخبره أنه ترك الركب الحسيني بحجّة أنّ معه مؤونة ونفقة لعياله يريد أن يوصلها إليهم، ثم بعد ذلك يرجع لنصرة الإمام الحسين عليه السلام. والنص

(١) المصدر السابق، ص ٣٠٥.

الـوارد عن الطرماح في حديثه مع جميل هو: «**فودّعته- أي الإمام الحسين عليه السلام -، وقلت له: دفع الله عنك شر الجنّ والإنس، إني قد امترت لأهلي من الكوفة ميرة، ومعي نفقة لهم فآتيهم، فأضع ذلك فيهم، ثم أُقبل إليك إن شاء الله، فإن ألحقك، فو الله لأكوننّ من أنصارك. قال عليه السلام : فإن كنت فاعلاً فعجّل رحمك الله... فلمّا بلغت أهلي، وضعت عندهم ما يصلهم وأوصيت، فأخذ أهلي يقولون: إنك لتصنع مرّتك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم، فأخبرتهم بما أريد، وأقبلت في طريق «بني ثُعل» حتّى إذا دنوت من «عُذيب الهجانات» استقبلني سُماعة ابن بدر، فنعاه إليّ، فرجعت**»[١].

فعلى صحة هذه الرواية، فإنّ الطرماح على رغم حسن سريرته، إلا أنه لم يرتّب أولوياته جيداً، ففوَّت عليه أعظم فرصة في حياته بأن يكون من العشّاق الشهداء الذين لا يسبقهم أحد قبلهم ولا يلحقهم أحد بعدهم.

(١) المصدر السابق ص٣٠٧

٢- عبيد اللّه بن الحر الجحفي

وصل الركب الحسيني إلى منطقة «**قصر بني مقاتل**»، حيث كان هناك فسطاط مضروب، وأمامه رمح قد غرس في الأرض وقباله فرس. إنه فسطاط عبيد اللّه بن الحر الجحفي (أو الجعفي بحسب رواية الطبري) إحدى شخصيات الكوفة المعروفة، فأرسل الإمام الحسين عليه السلام أحد أنصاره وهو الحجّاج بن مسروق الجعفي الذي دخل عليه مبشِّراً بقوله: «**قد أهدى اللّه إليك كرامة**» فسأل عبيد اللّه عنها، فأجابه الحجاج: «**هذا الحسين بن علي يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلتَ بين يديه أُجرت، وإن متَّ فقد استشهدت**».

فإذا بالجحفي يجيب بصراحة: «**ما خرجت من الكوفة إلا مخافة أن يدخلها الحسين عليه السلام وأنا فيها لا أنصره**»[(١)].

رجع الحجّاج يجيب إمامه بمقولة ابن الحر، فإذا

---

(١) الأمين، حسن، مُستدركات أعيان الشيعة، ط٢، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤١٨هـ، ج١، ص١١٥.

بالإمام الحسين عليه السلام يذهب بنفسه إلى عبيد الله ويقول له: «يا بن الحر، فاعلم أنّ الله عز وجلّ مؤاخذك بما كسبت، وأسلفت من الذنوب في الأيام الخالية، وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبةٍ تغسل بها ما عليك من ذنوب،... أدعوك إلى نصرتنا أهل البيت»[١].

وبعد أن فتح الإمام الحسين عليه السلام لابن الحر باباً واسعاً من أبواب الجنة، إذا بعبيد الله يعبِّر عن ازدواجية بين اعتقاده ومسلكه فقال للإمام: «والله إني لأعلم أنّ من شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك، ولم أخلِّف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك بالله أن تحملني على هذه الخطة، فإنَّ نفسي لم تسمح بعدُ بالموت، ولكن فرسي هذه المُلحقة، والله ما طلبت عليها شيئاً قطّ إلا لحقته، ولا طلبني أحد وأنا عليها إلا سبقته، فخذها فهي لك»[٢].

إنه تعبير واضح عن كون مشكلة هذا المتخلِّف ليست

(١) المُهتدي البحراني، عبد العظيم، من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، ط١، قم، انتشارات شريف الرضي، ١٤٢١هـ، ص ١٨٦.

(٢) الدينوري،أحمد، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م، ص٢٥١.

في المعرفة، فهو يعتقد بأحقيّة الإمام الحسين عليه السلام، وأنَّ من اتبعه كان السعيد في الآخرة.

ولكنه أيضاً تعبير واضح عن تعلّقه بالدنيا الذي جعل نفسه متمسكة بها رافضة الشهادة.

وقد ختم الإمام الحسين عليه السلام لقاءه مع عبيد اللّه بن الحرّ بقوله: «إن استطعت ألّا تسمع صراخنا، ولا تشهد وقعتنا فافعل؛ لأني سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: من سمع داعية أهل بيتي ولم ينصرهم على حقِّهم، إلّا أكبّه اللّه على وجهه في النار»[١].

٣- عمرو المشرقي وابن عمّه

وفي نفس المنطقة أي قصر بني مقاتل التقى الإمام الحسين عليه السلام بعمرو بن قيس المشرقي، وبابن عم له كان معه، فسلّما عليه، فقال لهما: «أجئتما لنصرتي»؟ فأجابا بالنفي مسوِّغين: «لا، إنّا كثيرو العيال، وفي أيدينا بضائع للناس، ولم ندر ماذا يكون، ونكره أن نضيِّع الأمانة»[٢].

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج٥ ص ٤٧.
(٢) عابدين، محمد علي، الدوافع الذاتية لأنصار الحسين عليه السلام، ص ١٨٩، ١٩٠.

إنَّ هذا المنطق يُلبس خذلان الحقّ لبوس عناوين دينية كالمحافظة على الأمانة، واجتماعية ككثرة العيال تاركين أمانة اللّه العظيمة المتمثّلة بالإمام الحسين عليه السلام الذاهب مع كثرة عياله إلى المذبح الإلهي.

وأيضاً ختم الإمام الحسين عليه السلام لقاءه معهما بنصيحته المعهودة «**انطلقا، فلا تسمعا ولا تريا لي سواداً؛ فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا، فلم يجبنا، أو يُعنّا كان حقّاً على اللّه عزَّ وجلّ أن يكبّه على منخريه في النار**»[١].

الصنف(٣): من اشترك في جزء من القتال، وانسحب قبل شهادة الإمام عليه السلام

من جملة من التقاه الإمام الحسين عليه السلام أثناء طريقه الضحّاك بن عبد اللّه المشرقي الذي ورد أنّه لبّى دعوة الإمام الحسين عليه السلام إلى نصرته، لكن بشرط عبَّر عنه بقوله الذي رواه ابن جرير الطبري: «**أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً، فإذا لم أرَ مقاتلاً، فأنا في حلٍّ من الانصراف**» فقبل الإمام

(١) المصدر السابق، ص ١٩.

الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك، وبالفعل ذكر الضحَّاك حسبما رواه عنه عبد اللّه بن عاصم، أنه لما رأى أصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أصيبوا، ولم يبقَ مع الإمام غير أهل بيته ورجلين، ذكّر الإمام بالشرط، فأذن له الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بالانصراف، فأقبل وركب فرسه التي كان قد خبّأها في فسطاط، ورمى بها عُرض القوم فأفرجوا له، واتَّبعه منهم خمسة عشر رجلاً لحقوه إلى أن عرفه بعض أولاد عمِّه الذين ناشدوا المقاتلين أن يكفُّوا عنه [1].

قد نجا الضحّاك بجسده، لكنّه حرم نفسه من الفَتْح العظيم، وأن يكون مع أولئك العشّاق الشهداء.

الصنف(٤): من علم بخروج جيش ابن سعد لقتال الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يتحرّك ناصراً

وهذا الصنف يشمل الكثير من أهل الكوفة وغيرهم ممن علموا بذلك، ومن هؤلاء بعض الشخصيات المعروفة في المجتمع الذين كان سبب عدم تحرّكهم الخوف والجبن، وليس كونهم في السجن، كما هو حال غيرهم.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ص ٣٣٩ .

وقد ذكر العلامة السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة أنّ من بين الشخصيات التي لم تتحرَّك لنصرة الإمام الحسين عليه السلام بسبب الخوف من ابن زياد سليمان بن صرد الخزاعي[١].

وقد ندم سليمان بعد العاشر من المحرم أشدّ الندم، إلى أن قاده ندمه إلى قيادة ثورة التوَّابين التي خطب في رجالها بما يعبّر عن انقلابه النفسي الذي أحدثته فيه نهضة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء، فقد قال لهم: «**ألا انهضوا؛ فقد سخط عليكم ربُّكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله، والله ما أظنّه راضياً دون أن تناجزوا من قتله، ألا لا تهابوا الموت، فما هابه أحد قطّ إلا ذلّ**»[٢].

الصنف (٥): من هرب من جيش عمر بن سعد قبل بدء القتال

يذكر تاريخ كربلاء أنّ أحد جنود عمر بن سعد وهو هرثمة بن سلمى، حينما وصل إلى كربلاء تذكّر موقفاً

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة ج٧، ص ٢٩٩.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٢٨.

لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حينما كان مارّاً بكربلاء، أثناء معركة عسكرية حضرها هرثمة نفسه، وشهد نزول الإمام علي عليه السلام بكربلاء عند بلوغها، حيث صلّى تحت شجرة هناك، ولما فرغ عليه السلام من صلاته رآه هرثمة بأمِّ عينيه قد أخذ من تراب تلك الأرض، وشمّها، ثم قال مستشرفاً المستقبل: «واهاً لك من تربة، لَيُقتلَنَّ بك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب»[1]. فما كان من هرثمة إلا أن جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام وحدّثه بما تذكَّره، فسأله الإمام عن انتمائه: «معنا أم علينا؟»إلا أنّ تعلق هرثمة بالدنيا أدّى به إلى أن يجيب الإمام عليه السلام: «لا معك ولا عليك، تركت عيالاً...»، فختم معه الإمام حديثه بما ختمه مع غيره: «ولِّ في الأرض فوالذي نفس حسين بيده، لا يشهد قتلنا اليوم رجل إلا دخل جهنّم»، فانهزم هرثمة هارباً[2].

---

(١) ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق محمد باقر المحمودي، ط٢، قم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٤هـ، ص٣٤٣.

(٢) عابدين، محمد علي، الدوافع الذاتية لأنصار الحسين عليه السلام، ص٢٤١.

من الواضح أنّه لم تنقص هرثمة معرفة، فما تذكَّره كافٍ في انقلاب الإنسان إلى ضفَّة الحق، إلا أنّ ذلك لم ينفعه. فحاله بعكس ذلك الرجل الذي سمع أيضاً بأنّ الإمام الحسين عليه السلام سيُقتل في كربلاء، ولكنه لم يعرف تاريخ ذلك، فما كان منه إلا أن رابط في الصحراء يراقب كربلاء مصمِّماً على الالتحاق بالإمام عليه السلام..

وقد روى ابن عساكر قصة هذا الرجل عن العريان بن الهيثم الذي قال:

«كان أبي ينزل قريباً من الموضع الذي كانت فيه الطّف، وكنّا لا نجتاز في ذلك المكان إلا وجدنا رجلاً من بني أسد مقيماً هناك.. فقال له أبي: إني أراك ملازماً هذا المكان؟ فقال له: بلغني أنّ حسيناً يُقتل ههنا، فإنما أخرج، لعلّي أصادفه؛ فأُقتل معه». ويذكر العريان بن الهيثم أنَّ والده قد اصطحبه عقيب انتهاء الواقعة ليبحثا عن ذلك الرجل الأسدي، فوجدوه مع الشهداء الفاتحين[1].

(١) المرجع السابق ص ٢٤٢، ٢٤٣.

الصنف (٦): من شاهد الملحمة ولم ينصر الإمام عليه السلام

ذكر المؤرّخون أنّه - أثناء الملحمة الحسينية - وقف أشياخ من أهل الكوفة على التل يبكون ويقولون: «اللهمّ أنزل نصرك»[١].

إنّها العاطفة المجردة عن السلوك، والدّمعة المجرّدة عن الصدق العملي.

الصنف (٧): من لم يلحق بالركب الحسيني من بداية التحرك

وقد تقدّم أنّ من بين هؤلاء رجالاً كباراً في المجتمع، كابن عباس الذي قال للإمام الحسين عليه السلام: «أتخوَّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال»[٢]، وعبد اللّه بن جعفر الذي خاطب الحسين عليه السلام قائلاً: «إني أسألك الله لمّا انصرفت حين تقرأ كتابي هذا؛ فإني مشفق عليك في هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك»[٣].

---

(١) شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام ،ط٢، بيروت، الدار الإسلامية، (لا،ت)، ص ٤٦.

(٢) الطبرسي، الفضل بن حسن، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج١، ص ٤٢٧.

(٣) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص ٢١٠.

وأمثال هذين لا يمكن تصنيفهم مع الذين منعتهم الدنيا من الالتحاق بالإمام، بل كانت لهم منطلقات أخرى نتحدّث عنها في البحث الآتي.

الأسباب الحقيقية للمتخلِّفين عن الفتح

لاحظنا خلال التعرّض المختصر للأصناف السبعة للمتخلِّفين عن الفَتْح الحالات التالية:

حالة عدم الالتحاق من قِبَل أُناس لا يُتَّهمون بالتعلّق بالدنيا.

حالة عدم الالتحاق بصمت، لكن مع وضوح السبب وهو الخوف من ابن زياد، وهو حال أكثر أهل الكوفة الباقين،ومنهم سليمان ابن صرد على ما تبنّاه السيد محسن الأمين.

حالة عدم الالتحاق، لكن ببكاء ودعاء بالنصرة، كما في أشياخ التلّ.

حالة انسحاب البعض بصمت أيضاً، لكنّ ظرف

الانسحاب يوضح الأسباب، كالانسحاب الكبير الذي حصل في «**زبالة**» بعد خبر سقوط الكوفة.

حالة انسحاب مع تسويغ ذلك بعدم وجود العدد الكافي من المقاتلين، كما حصل مع الضحّاك.

حالة انسحاب على أمل الرجوع، بحجة إيصال نفقة للعيال، كما حصل مع الطرماح.

حالة رفض الالتحاق ونصرة الإمام عليه السلام، بحجة كثرة العيال، وهذا منطق العديد من المتخلّفين.

حالة رفض الالتحاق ونصرة الإمام عليه السلام، بحجة دينية هي المحافظة على أمانة الناس، كما حصل مع عمرو المشرقي وابن عمّه.

حالة رفض الالتحاق ونصرة الإمام، مع تسويغ ذلك بعدم الاستعداد للموت، كما حصل مع عبيد اللّه بن الحرّ.

ومع كثرة هذه الحالات، فإنّه يمكن إرجاع الأسباب الحقيقية الكامنة وراءها إلى سببين:

الأوّل: التعلّق بالدنيا الغاية.

الثاني: عدم الوعي الكافي.

السبب الأول: التعلق بالدنيا الغاية

وهـو سبب تخلُّف أكثر الناس عن الفتح. وهـو الذي أفصح عليه السلام به لأصحابه في كربلاء، قائلاً: «**الناس عبيد الدنيا، والدِّين لعقٌ على ألسنتهم، يَحوطُونه ما درَّت معايشُهم، فإذا مُحصُوا بالبلاء قلَّ الديّانون**»[١]

وهـو السبب الـذي ركّـز عليه الإمـام الحسين عليه السلام في الخطبة الأولى يوم العاشر من المحرّم، فقال عليه السلام بصوتٍ عالٍ: «**أيّها النّاس اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما هو حقّ لكم عليّ... عباد الله اتقوا الله، وكونوا من الدّنيا على حذر؛ فإنّ الدّنيا لو بقيت على أحد، أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء، وأولى بالرضا، وأرضى بالقضاء، غير أنّ الله خلق الدّنيا للفناء، فجديدها بالٍ، ونعيمها مضمحلّ، وسرورها مكفهرّ، والمنزل تلعة، والدار قلعة، فتزوّدوا؛ فإنّ خير الزاد التقوى، واتقّوا الله لعلكم تفلحون.**

(١) شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين، ص ٢٤٥.

أيّها الناس، إنّ الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرِّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته، والشقيّ من فتنته، فلا تغرّنّكم هذه الحياة الدّنيا؛ فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيِّب طمع من طمع فيها... [١].

إنّه تحذير ينطلق من السبب الحقيقي لخذلان ذلك المجتمع ومحاربته الحق، والذي صرَّح به قائد جيش ابن زياد عمر بن سعد في بيتَيّ شعر قال فيهما:

أأتـرك ملك الـريِّ والـريُّ بُغيتي
أم أرجـع مـأثومـاً بقتل حسينِ؟
وفـي قتله الـنـار الـتـي ليس دونها
حجاب وملك الـريّ قُـرّة عيني [٢]

فهذا الرجل يخيّر نفسه بين ملك تلك المنطقة الإيرانية التي وُعد بملكها إن قتل الإمام الحسين عليه السلام، وبين قتل

(١) المقرّم، عبد الرزاق مقتل الحسين عليه السلام ،ص٢٢٧.
(٢) القرشي، حياة الحسين،ج٣، ص ١١٣.

سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموجب باعتقاده لنار جهنّم، ومع ذلك يستسلم لمُلْك الريّ.

والإمام الحسين عليه السلام في خطبته يجيبه ويعظ جيشه المبتغي للدّنيا بتوصيف قرآني لها، فهي دار فناء وزوال تتصرّف بأهلها حالاً بعد حال وكما قال الله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[٢].

فالإمام عليه السلام يدعوهم إلى التأمل بتقلّبات الدّنيا،

---

(١) سورة الكهف، الآية ٤٥.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٠.

والتي يصفها الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ في قصيدته المعروفة التي يعظ فيها المتوكل قائلاً:

باتوا على قُلَل الأجبال تحرسهم
غُلْبُ الرجال فما أغنتهمُ القُلَلُ

واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم
وأُنزلوا حُفَراً يا بئسَ ما نزلوا!

ناداهمُ صارخٌ من بعد ما قُبروا
أين الأسرّة والتيجان والحُللُ؟

أين الوجوه التي كانت منعّمة
من دونها تضرب الأستار والكلل؟

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما أكلوا دهرًا وما شربوا
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

وطالما عَمَروا دورا لتحصنهم
ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا

وطالما كنزوا الأموال وادخروا
فخلفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطّلةً
وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا [١]

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام وعظهم في خطبته أن يتركوا الدنيا التي جعلوها غاية لهم، بدل أن يجعلوها وسيلة للآخرة ليبصروا الحقيقة من خلالها، كما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام عن الدّنيا: «**من بَصُر بها بصّرته ومن أبصر إليها أعمته**»[٢]. فالناظر إلى الدنيا على أساس «**إلى**» أي تكون غايته، فإن الدّنيا عندها ستكون بتلك الصفات التي ذكرها الإمام علي عليه السلام بأقواله: «**الدنيا سوق الخسران**»[٣] «**الدنيا مصرع العقول**»[٤] «**الدنيا**

(١) القمّي، عباس، الأنوار البهية،ط١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ، ص ٢٩٥.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٢٠.
(٣) المصدر السابق، ج٧٥، ص ١٨١.
(٤) الريشهري، محمد، العقل والجهل في الكتاب والسُنَّة، ط١، بيروت، دار الحديث، ١٤٢١هـ، ص ١٤٩.

معدن الشرّ ومحل الغرور»[١]. **«الدّنيا مزرعة الشرّ»**[٢].

أما الناظر إلى الدنيا على أساس **«الباء»**، أي يعتبرها وسيلة إلى الآخرة، فإنها ستكون بالنسبة إليه بالصفات الأخرى التي ذكرها الإمام علي عليه السلام بقوله: **«الدّنيا دار صدق لمن صدَقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتّعظ بها، مسجد أحبّاء الله، ومصلّى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنّة»**[٣].

إنّ مشكلة الكثير من أولئك المتخلفين عن الفَتّح فضلاً عن القتلة أنّهم تعلّقوا بدنيا الغاية، فأحبّوها حبّاً شدّهم عن الله تعالى إليها، حتّى وصلوا إلى مرحلة خذلان الحقّ في أدّق مراحل التاريخ.

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٢، ص ٨٩٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) نهج البلاغة، تحقيق الشيخ محمد عبده، ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢هـ، ج٤، ص ٣٢.

فحبُّهم للدّنيا لم يكن ذلك الحبَّ الذي من خلاله يحبُّ الانسان جمع المال، لينفق على عياله، ويعيش بكرامة بين الناس، ويصل به رحمه، ويقضي به حوائج الناس.

لم يكن ذلك الحبّ الذي من خلاله يحبّ الإنسان الأولاد، فيربِّيهم على طاعة اللّه.

لم يكن ذلك الحبّ الذي ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال عنه «**الناس أبناء الدّنيا، ولا يُلام رجل على حُبّ أمّه**»[1].

بل كان حبُّهم للدنيا هو الحبَّ الذي من خلاله تركوا أبا عبد اللّه الحسين عليه السلام ومَنْ معه يذهبون إلى مذبح الشهادة، بدون أن يحرِّكوا ساكناً في نصرته.

كان حبُّهم للدّنيا سبباً لتركهم الظّالم يستبيح قتل الناس بالباطل، وتشريدهم وإباحة أموالهم، بل نسائهم في بعض المحطّات، بدون أن يحرِّكوا ساكناً لمناهضته.

كان حبُّهم للدّنيا سبباً لسكوتهم وتقاعسهم، وهم يرون

(١) المصدر السابق، ص ٧٣.

دين اللّه يحرَّف في أذهان الأجيال الصاعدة، وقيمه تتبدَّل في كتاتيب أبنائهم، وقدوته تشوّه في عقول الناس.

كان حبُّهم للدّنيا مصداقاً لحبِّها الوارد في الحديث القدسي عن اللّه عزّ وجلّ: «**لو صلّى العبد صلاة أهل السماء والأرض، ويصوم صوم أهل السماء الأرض، ويطوي من الطعام مثل الملائكة، ولبس لباس العاري، ثمّ أرى في قلبه من حبّ الدُّنيا ذرّة، أو سعتها، أو رئاستها، أو حليّها، أو زينتها، لا يجاورني في داري، ولأنزعنّ من قلبه محبتي**»[1].

كان حبّهم للدنيا مصداقاً لحبِّها الوارد في وحي اللّه تعالى لكليمه موسى عليه السلام حينما مرّ برجل وهو يبكي، ثمّ رجع وهو يبكي، فقال: «**إلهي عبدك يبكي من مخافتك**»، فقال اللّه تعالى له: «**يا موسى، لو بكى حتّى نزل دماغه مع دموع عينيه، لم أغفر له، وهو يحبُّ الدّنيا**»[2].

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط٣، تحقيق علي أكبر غفاري، ج٧٤، ص ٣٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٤١.

إنّ كثيراً من المتخلفين عن الفَتّح كان سبب تخلّفهم الأساسي هو هذا الحُبّ والتعلّق بدنيا الغاية التي أعمت قلوبهم فأصبحوا بلا بصيرة.

السبب الثاني: عدم الوعي الكافي

لكنّ التعلق بدنيا الغاية لا يصحّ أن نعمِّمه على جميع المتخلفين عن الفتّح -كما قلنا سابقاً- وفيهم من عُرفوا بإيمانهم والتزامهم وإذعانهم للتكليف الشرعي.

فما هو سبب تخلّف هؤلاء؟

أستعين في الجواب بكلام للإمام علي الخامنئي دام ظلّه الشريف يتحدّث فيه عن هؤلاء قائلاً: «**كان هناك أشخاص مؤمنون ملتزمون بين الذين لم ينهضوا مع الإمام الحسين عليه السلام... فليس من الصحيح أن يُعَدّوا جميعاً من أهل الدّنيا، لقد كان بين رؤساء ورموز المسلمين في ذلك الوقت أشخاص مؤمنون وأشخاص يذعنون بالعمل وفقاً للتكليف الشرعي، لكنّهم لم يدركوا التكليف**

الرئيسي، ولم يشخِّصوا أوضاع ذلك الزمان، ولم يعرفوا العدوّ الرئيسي، وكانوا يخلطون بين الوظيفة الرئيسية، والوظائف التي هي من الدرجة الثانية والثالثة».

لكن مما لا شك فيه أنهم مخطئون، وأنَّ هؤلاء لم يدركوا تكليفهم الصحيح، وأنّهم حرموا أنفسهم من الفَتّح العظيم، إلاّ أنّ ذلك لا يعني أنّهم أهل دنيا، بل كانت مشكلتهم في محلّ آخر يرتبط بتحديد التكليف الشرعي للأمّة في ضوء أوضاع ذلك الزمان. فبعض هؤلاء كان يرى أنّ الأولوية هي في حماية شخص الإمام الحسين عليه السلام والمحافظة عليه، لذا نصحوه أن يذهب إلى أمكنة فيها أمان لنفسه، في مقابل رؤية الإمام المعصوم عليه السلام بأنّ الأولوية هي حفظ الدّين، وإن كلّف ذلك شهادة الإمام المعصوم عليه السلام.

من الصعب أن تُفهَم مشكلة هؤلاء المؤمنين بحدٍّ أقلّ من كونهم سمحوا لأنفسهم بتشخيص وتحديد التكليف الشرعي الولائي مع وجود المعصوم المحدِّد لذلك،

بين ظهرانيهم، فلعلّ ذلك كان لعدم فهمهم ما حدَّده الإمام عليه السلام من تكليف.

هذا على مستوى الخلفية النظرية لتكليف الأمة الشرعي.

لكن يُلاحَظ من بعض الحالات المتقدمة أنّ بعض المتخلفين حرم نفسه من الفَتّح لعدم ترتيب أولوياته العملية، من دون علاقة ذلك بقضية التكليف العامّ للأمة، والوظيفة الرئيسية لها. فالطرماح لم يكن عنده مشكلة في ذلك، كما يبدو من سيرته التي نقلنا بعضها، لكنّ مشكلته كانت في تسامحه في ترتيب أولوياته بلحاظ حساسية الوقت، فهو قدّم ذهابه لإعطاء أهله النفقة، بنيَّة الرجوع للنصرة على البقاء مع الإمام عليه السلام، فذهب ورجع ولكنه كان متأخراً، فحرم نفسه من الفتح.

الطرماح والشهيد عبد الرسول

لذا كان عمل الطرماح درساً قاسياً تعلّمه أبناء مدرسة الإمام الحسين عليه السلام الذين انتهلوا من معين قيم عاشوراء.

ومن هؤلاء المتعلمين شهيد من شهداء المقاومة الاسلامية في لبنان هو علي زهري الذي كان يُلقّب بـ: «**عبد الرسول**»، إذ يروي مسؤوله المباشر قصته من أول قدومه إلى المحور الجهادي حينما أخبره عن رؤيا شاهدها أثناء نومه في ذلك المكان المبارك، فقد رأى أنه قامت القيامة، وإذ بالناس يحاسَبون بين يدي اللّه تعالى، وحينما جال بنظره رأى الإمام الحسين عَلَيْهِالسَّلَامُ يُدخل بعض الناس إلى الجنّة من أحد أبوابها، ولاحظ أنَّ مدخل الباب مزدحم بصفٍّ طويل، فما كان من الشهيد عبد الرسول إلا أن خالف ترتيب الصّف، وتقدّم إلى مدخل باب الجنّة متجاوزاً الواقفين، فناداه أحدهم: إرجع، وقِفْ في الصف، فليس الوقت وقتك، بل وقتك بعد عشر سنوات. ويتابع الشهيد الحديث عن رؤياه بأنّه بعد وقت لم يشعر بطوله انتهت السنوات العشر، ووصل دوره إلى الباب ودخل الجنّة.

قصّ الشهيد رؤياه على مسؤوله «**أبو حسين**» أول قدومه للعمل الجهادي في ذلك المحور الذي بقي يجاهد فيه طيلة

السنوات العشر. وكان يُلاحظ عليه فيه أنّه كان أثناء هذه السنوات يمارس جهاده العسكري بحيث لا يبدو حذره في أية عملية، وإن كانت مما يقتضي الحذر،وكان يسوِّغ ذلك لمسؤوله قائلاً: لم تمضِ السنوات العشر.

ولكنْ بعد عشر سنوات حينما انتخبه قادة المقاومة ليشارك في عملية «سُجُد» لاحظ عليه مسؤوله أنّه بدأ يتحدث بكل جدّية مُغيّراً تصرفاته المعهودة. وقتها تذكّر مسؤوله الرؤيا، وأخذ يحسب الزمن الذي مضى على قدوم عبد الرسول، فتبين أنّه في السنَة العاشرة من زمن بداية عمله الجهادي في المحور.

ومن موقع المحبّ قال له مسؤوله: «انزل إلى بيروت وودِّع خطيبتك ثم أقدم للمشاركة في العملية».

فأجابه عبد الرسول: «أنا منذ عشر سنوات انتظر هذه اللحظة، فلعلي إذا ذهبت إلى بيروت يحدث لي حادث في الطريق فأتأخر عن العملية، فأحرم نفسي من الشهادة».

لقد حرم الطرماح نفسه من الفتح، ونجح الشهيد عبد الرسول في الالتحاق بركب الفاتحين.

مصير المتخلّفين عن الفتح

أؤكد في البداية أنّ الكلام هنا لا يشمل القتلة، بل الأصناف السبعة السابقة، فما هو مصير هؤلاء؟

بناء على ما تقدم لا يصحّ أن يُجاب عن الأصناف السابقة بجواب واحد، فقضية المصير من القضايا الحساسة التي تخضع لمعايير دقيقة.

وقد يجيب البعض بأنّ مصير من حضر وسمع الداعية بدون نصرة، فمصيره جهنم، وهذا ما أكده الإمام الحسين عليه السلام لأكثر من متخلّف كما مرّ، ومن ذلك ما قاله لابن الحرّ «**إن استطعت ألاّ تسمع صراخنا، ولا تشهد وقعتنا فافعل! لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: من سمع داعية أهل بيتي، ولم ينصرهم على حقِّهم إلا أكبّه الله على وجهه في النار**»[1].

---

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج٥، ص ٤٧.

ولكن أودّ أن أجذِّر الجواب ليشمل التاريخ والحاضر بما يشكِّل ثقافة لها تداعياتها في الموقف من الآخرين، مستفيداً في الإجابة من العقل القطعي، ونصّ أهل العصمة.

الجزاء الإلهي في منطق العقل

إنّ العقل القطعي قاض بعدالة اللّه تعالى، واستحالة أن يصدر منه عزَّ وجلَّ ما يقطع العقل بأنه ظلم، ولهذه العقيدة انعكاسات في الحساب الإلهي يوم القيامة.

فالعقل القطعي يأبى أن يكون الحساب يوم المعاد مقتصراً على معيارية الهويَّة الحقَّة، ومطابقة الأعمال للواقع بدون أية اعتبارات أخرى، وذلك بأن يكون الفرز يوم القيامة على أساس أن غير المسلمين مطلقاً يدخلون النار، ثم يُفرَز المسلمون إلى المذاهب المتعددة، فكل من لم يكن على المذهب الحقّ يدخل جهنم، ثم يُفرز أصحاب المذهب الحقّ بحسب أعمالهم، فمن طابقت أعمالهم الواقع يدخلون الجنة، والبقية إلى جهنم.

إنّ عدالة اللّه تعالى بحسب العقل القطعي تتنافى مع هكذا نوع من الحساب، وترشد إلى نوع آخر من الحساب الإلهي يُلاحظ المقدِّمات التي أدَّت إلى الهوية العقائدية وما حدث من مسلكيّات، فهذه المقدِّمات قد يكون فيها تقصير، وقد تنطلق من قصور.

أمّا المقصِّر الذي كان يستطيع الوصول إلى الحق، وإلى إبراء ذمَّته بطريقة موضوعية، لكنه قصَّر ولم يصل بإرادته فهذا لا إشكال في استحقاقه للعذاب.

لكن لا يُتعقل استحقاق العذاب للقاصر غير القادر على ذلك، والذي لم تتوفَّر له بيئة تسمح له بالوصول إليه.

واقتصار كلامنا على الاستحقاق منطلق من إيماننا بأنّ اللّه تعالى يجب منه أن يحقِّق وعده، فإذا وعد بالثواب يصبح الثواب واجباً منه تعالى، بينما لو توعَّد بالعقاب، فإن توعَّده لا يستلزم وقوع العقاب جزماً؛ لأنه تعالى قد يرحم، فتتقدم رحمته على غضبه.

والنتيجة: أنّ المقصِّر يستحقّ العذاب لكنه قد يُرحم، وأنّ القاصر لا يستحق العذاب في دائرة قصوره.

الجزاء الإلهي في منطق النص

إنّ ما ذكرناه في منطق العقل نقرأه في نصِّ الكتاب العزيز، والنصوص الـواردة عن أهـل العصمة عليهم السلام. فالقرآن الكريم تحدَّث عن عفو اللّه تعالى عن القاصرين الذين عبَّر عنهم بالمستضعفين فقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[1]

ومـن لطيف مـا ورد فـي هـذا الـشـأن حـديث الإمـام الصادق عليه السلام عن أصناف الناس بالنسبة إلى الجزاء الإلـهي، ففي الكافي عن حمزة بن الطيار عن الإمـام الصادق عليه السلام: «الـنـاس على ستِّ فـرق، يـؤولـون كلهم

(١) سورة النساء، الآيات ٩٧–٩٩.

إلى ثلاث فرق: الإيمان، والكفر والضلال، وهم أهل الوعدين[١] الذين وعدهم الله الجنة والنار، المؤمنون، والكافرون، والمستضعفون، والمرجون لأمر الله، إمّا يعذّبهم، وإمّا يتوب عليهم، والمعترفون بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وأهل الأعراف»[٢].

وقد أكّدت بعض الروايات حلول الرحمة الإلهية على بعض المستحقين للعذاب؛ بسبب تحلّيهم ببعض القيم الإنسانية التي هي نوع من التجلّي للصفات الإلهية كما نلاحظ في الروايتين التاليتين:

١- ففي الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام: **«إنّ مؤمناً كان في مملكة جبّار، فولع به، فهرب منه إلى دار الشرك، فنزل برجل من أهل الشرك، فأظلّه وأرفقه، وأضافه، فلمّا حضره الموت أوحى الله عزّ وجلّ إليه: وعزّتي وجلالي، لو كان لكَ في جنتي مسكن لأسكنتك فيها،**

(١) أي أهل الوعد والوعيد، اكتفى باحدهما من باب التغليب.
(٢) الكليني،محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٨ هـ.ش، ج٢، ص ٣٨١.

ولكنها محرَّمة على من مات بي مشركاً، ولكن يا نار، هيديه، ولا تؤذيه، ويؤتى برزقه طرفي النهار»[(١)].

٢- وروى الشيخ الصدوق عن الإمام الكاظم عليه السلام:

«كان في بني إسرائيل رجل مؤمن، وكان له جار كافر، وكان يرفق بالمؤمن ويوليه المعروف في الدنيا، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين، فكان يقيه حرّها، ويأتيه الرزق من غيرها، وقيل له: هذا بما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق، وتوليه من المعروف في الدنيا»[(٢)].

الجزاء الإلهي في كلمات العلماء

لقد أكَّد علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام هذه العقيدة في كتبهم الجليلة ككتاب القوانين الشهير في الحوزات العلمية في المنهج الدراسي السابق، وفي كونه مرجعية علمية ذات أهمية كبيرة حالياً، وقد قال مؤلفه آية الله

---

(١) المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٨، ص٢٩٧.

العظمى ابو القاسم القمّي، عند حديثه عن قواعد الحكماء الطبيعية المنافية لضروريات الدين: «**إنّ ما يختارونه من مخالفة أصول الدين: إما من باب ما يؤول إلى إنكار أحد من الأصول بالذات كالنبوة مثلاً، أو إلى إنكار ما يستلزم إنكاره مثل إنكار ما أخبره النبي عالماً بأنه من النبي.**

والأول: مع التقصير مستلزم للكفر في الدنيا والعذاب في الآخرة، وبدون التقصير مستلزم للأول دون الثاني.

وأما الثاني: فمع عدم التقصير لا كفر ولا عذاب، ومع التقصير لا يستلزم الكفر، لكنه يوجب المؤاخذة، والعذاب، فلا بدّ لمن يحكم بكفر منكر الضروري من التأمل»[١].

وفي نفس الإطار يتحدّث الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ في كتابه

(١) عن: الخونساري، محمد باقر، تلويح النوريات من الكلام في تنقيح الضروريات من الاسلام، (لا،ط)، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت) ص ٨٥.

المكاسب المحرَّمة عن عمل الجاهل المعذور، فيقول: «لا وزر له، بل يكون مثاباً لانقياده، بل ربما يكون فعله طاعة.. وأما فعل الحرام الواقعي فلا قبح له، ولا وزر على الفاعل المعذور في ارتكابه».[1]

الولاية والجزاء الإلهي

ومن باب تطبيق ما ذكرنا نتعرَّض لعقيدة الولاية الحقة، فنحن نعتقد أنّ اللّه تعالى جعل الولاية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ركناً أساسياً في استحقاق قبول أعمال المسلم، والعقل لا يمانع شرطاً كهذا في الاستحقاق، فلو قال الحكيم: «إني جعلت حقاً عليَّ أن أثيب من يسير في هذه الطريق، ويطعم فقراءها»، فإنَّ من سار فيها، وأطعم فقراءها، يستحق منه الثواب، أمَّا من سار على طريق أخرى، وأطعم فقراء تلك الطريق الأخرى، فهو لا يستحق من الحكيم ثوابه، نعم قد يتفضَّل عليه بالإثابة،

(١) الخميني، روح اللّه، المكاسب المحرّمة، ط٣، قم، اسماعيليان، ١٤١٠هـ، ص ١٠٠.

لكنها ليست واجبة بحكم العقل. وعلى هذه القاعدة وردت روايات وصلت إلى حدِّ التواتر بأنّ شرط قبول الأعمال هو ولاية أهل البيت عليهم السلام ومن تلك الروايات:

١. ما ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «**ذروة الأمر وسنامُه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله عزَّ وجلَّ يقول:** ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾[1]. **أما لو أنّ رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدَّق بجميع ماله، وحجَّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه، وتكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حقٌّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان**»[2].

٢. عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من لم يأتِ الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة بما أنتم عليه لم يتقبَّل منه حسنة، ولم يتجاوز له سيئة**»[3].

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٠.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، (لا،ط)، تحقيق الشيخ محمد الرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (لا،ت)، ج١٨، ص ٢٦.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ، ج٨،ص ٣٤.

٣ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «والله، لو أنَّ إبليس سجد لله عزَّ ذكره بعد المعصية والتكبُّر عُمْرَ الدنيا ما نفعه ذلك، ولا قبله الله ما لم يسجد لآدم كما أمره الله عزَّ وجلَّ أن يسجد له، وكذلك هذه الأمة العاصية المفتونة بعد نبيّها صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد تركهم الإمام الذي نصبه نبيُّهم صلى الله عليه وآله وسلم لهم، فلن يقبل الله تبارك وتعالى لهم عملاً، ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله من حيث أمرهم، ويتولَّوا الإمام الذي أُمروا بولايته، ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله عزَّ وجلَّ ورسوله لهم»[1].

وقد علَّق الإمام الخميني قدس سره في كتابه «الأربعون حديثاً» على هذه الأحاديث قائلاً: «إنَّ ما مرَّ في ذيل الحديث الشريف من أنّ ولاية أهل البيت عليهم السلام ومعرفتهم شرط في قبول الأعمال يُعتبر من الأمور المسلَّمة، بل تكون من ضروريات مذهب التشيُّع»[2].

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص ١٢٠.
(٢) الإمام الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً، ترجمة محمد الغزوي، (لا،ط) قم، دار الكتاب الإسلامي، (لا،ت)، ص ٥١٢.

أهل البيت عليهم السلام وثقافة الفرز

وحتى لا يُفهَم هذا الكلام على غير معناه المقصود، لا بد من التمييز بين الاستحقاق والتفضُّل اللذين مرَّ ذكرهما، فالولاية هي شرط استحقاقي في قبول الأعمال، ولكنّ هذا لا يعني أنّ كل من لا يقول بالولاية سيدخله اللّه تعالى إلى جهنم. فقد يكون هذا الإنسان-نتيجة قيم يحملها، وعدم موانع فيه- من المرحومين في جزاء اللّه تعالى، ومن الذين يدخلهم اللّه تعالى جنّته بفضله ورحمته ومنّه، حتى لو لم يكن مستحقاً لذلك، فليس من الصحيح أن يقوم الإنسان بفرز الناس إلى داخلين حتماً إلى جهنم، وداخلين حتماً إلى النار.

وقد رفض أهل البيت عليهم السلام هذا المنطق المضيِّق لرحمة اللّه تعالى، كما يظهر جلياً في الرواية التي أوردها صاحب الكافي عن زرارة قال: «**دخلت أنا وحمران (أو بكير) على أبي جعفر عليه السلام قلت له: إنما نمدُّ المطمار، قال عليه السلام: وما المطمار؟ قلت: التّر (أي خيط البناء)، فمن وافقنا من علويٍّ أو غيره تولينا، ومن خالفنا من**

علوي أو غيره برئنا منه، فقال لي: يا زرارة، قول الله أصدق من قولك»، فأين الذين قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾[1]؟! أين المرجون لأمر الله؟! أين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً؟ أين أصحاب الأعراف؟ أين المؤلَّفة قلوبهم؟» [2]

إنه حديث واضح برفض مدرسة أهل البيت عليهم السلام فكرة فرز الناس في مصيرهم الأخروي بشكل حتمي من دون مراعاة جانب خصوصيات في الإنسان، وبيئته التي قد تستمطر الرحمة الإلهية والتفضُّل الرباني.

آثار مدرسة أهل البيت عليهم السلام

إنّ هذا الاعتقاد، حينما يترسَّخ في الثقافة الشعبية، سيكون له آثار نفسية، ونتائج تربوية محمودة على صعيدي الفرد والمجتمع.

(١) سورة النساء، الآية ٩٨.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص ٣٨٣.

فهو يوسِّع نظرة الإنسان وأفقه بين رحيمية اللّه ورحمانيته.

وهو يؤصِّل الوحدة بين المسلمين بحيث لا ينطلق المسلم في نظرته إلى الآخر على أساس أنّ مصير الآخر، والحتميّ هو نار جهنم.

وهو يوائم بين المسلكين الثقافي والسياسي في العلاقة بالآخر.

وهو ركيزة مهمة للحوار مع الآخر بروح منفتحة.

مصير المتخلّفين في ضوء ما تقدّم

بناءً على ما مرَّ، فإننا لا نستطيع أن نحكم بحكم عام على جميع الأصناف السبعة المتقدمة من المتخلفين عن الفتح.

نعم لا نتعقّل قصوراً في أولئك الذين شهدوا الواقعة ولم يتدخّلوا بالنصرة، فبالتالي هُم يستحقّون أن يكبّهم اللّه على وجوههم في نار جهنّم.

كما من الواضح أنّ قسماً كبيراً من المتخلّفين لم تكن لديهم مشكلة معرفية، كعبيد اللّه بن الحر الجحفي، الذي صرّح بأنّ من شايع الحسين عليه السلام هو السعيد في الآخرة، بل كانت مشكلة هؤلاء التعلّق بالدنيا الغاية، لذا خذلوا إمامهم، فاستحقُّوا عذاب اللّه تعالى بعد أن رفضوا طلباً صريحاً من إمامهم بنصرته.

أمّا الصنف الذي لم ينطلق في تخلّفه من تعلّق بالدنيا، بل من مشكلة ترتبط بالوعي وتحديد الأولويات، فإنّ مصيره يتبع ما تقدّم من معيار في الحساب يرتبط بالقصور أو التقصير.

ولكن على كل حال، فإنّ جميع الأصناف المتقدمة قد أخطأوا وحرموا أنفسهم من الفَتْح الكبير الذي رسم له الإمام الحسين عليه السلام طريقه بوضوح، ألا وهو الشهادة.

لقد حرم جميع هؤلاء أنفسهم من مقام الشهادة العظيم الذي نضيء عليه في الباب الثالث «**الشهادة**».



الباب الثالث

الشهادة



الشهادة

«من التحق بي منكم استُشهد..»[1].

إنّـهـا مـقـدمـة الـرسـالـة الـتـي جعـل فيـهـا الإمـام الحسين عليه السلام الاستشهاد في مقام البشرى.

«قد أهدى اللّه إليك كرامة،.. هذا الحسين بن علي يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أُجرت، وإن متَّ فقد استشهدت»[2].

إنّـه قول الحجّاج بن مسروق الجعفي لعبيد اللّه بن الحر، يُخبره عن كرامة أهداها اللّه إليه وهي: إمّا أجر القتال وإمّا الاستشهاد.

«...مصارع عشاق شهداء لم يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم مَنْ بَعدهم»[3].

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٣٠.
(٢) الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة، ط٢، بيروت، دار التعارف، ١٤١٨هـ، ج١، ص ١١٥.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار،ج٤١، ص ٢٩٥.

إنه استشراف الإمام علي عليه السلام للمستقبل الذي رأى فيه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه شهداء.

«حشرنا الله معكم في المستشهدين، ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليّين»(١)

إنه دعاء للإمام المهدي عليه السلام أثناء زيارته لشهداء كربلاء.

وهكذا نلاحظ عنوان الشهادة سمةً بارزةً لأبطال الملحمة الكربلائية، كما نجد عنوان الشهيد لصيقاً بالإمام الحسين عليه السلام في نصوص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ، التي منها:

١. ما أورده الشيخ الطوسي في كتابه «**الغيبة**» أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في الليلة التي كانت فيها وفاته، للإمام علي عليه السلام : «**يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة، فأملى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيته**» إلى أن قال:«**يا علي، إنه سيكون من بعدي اثنا عشر إماماً**» إلى أن قال:«**فإذا حضرتك الوفاة فسلِّمها إلى ابني الحسن**

---

(١) المصدر السابق، ج٤٥، ص٧٠.

البرّ الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول...»[١].

٢. ما ذكره الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في حديث السلسلة الذهبية التي وصف فيها كل إمام من آبائه بأبرز صفاته التي تُعبِّر عن دوره الأساس، أو مقامه الخاص، فقال عليه السلام للحشود المجتمعة في نيشابور -وبينهم عشرون ألف كاتب يناشدونه أن يحدِّثهم بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- فإذا به يقول: **«حدّثني أبي موسى الكاظم عليه السلام، عن أبيه جعفر الصادق عليه السلام، عن أبيه محمد الباقر عليه السلام، عن أبيه علي زين العابدين عليه السلام، عن أبيه الحسين شهيد كربلاء عليه السلام، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: حدّثني حبيبي، وقرة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام أنه قال: سمعت ربَّ العزّة سبحانه يقول: كلمة لا إله إلا الله**

(١) المجلسي، محمد الباقر، بحار الأنوار، ج٣٦، ص ٢٦١.

حصني، ومن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي»[(١)].

٣. ما ورد في لوح فاطمة عليها السلام الذي ورد فيه أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام مع عرض لأبرز صفاتهم ومحطّات حياتهم ففيه: «...وجعلت حسيناً خازن وحيي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استُشهد، وأرفع الشهداء درجة...»[(٢)].

إنَّ كل هذا يدعونا إلى دراسة حقيقة الشهادة التي نالها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، وحرم الكثير أنفسهم من نيلها.

الشهيد والشهداء في القرآن الكريم

أطلق القرآن الكريم صفة الشهيد على الإنسان في مقام حضوره ومشاهدته حدثاً ما بحيث يؤهِّله ذلك ليُدليَ بإفادة

(١) الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الأثني عشر، ط١، قم، الشريف الرضي، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

(٢) بركات، أكرم، مصحف فاطمة، ط٤، بيروت، دار الصفوة، ٢٠٠٩، ص ٥٦.

حول ما حصل، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[١].

كما أطلق هذه الصفة على العارف المتيقِّظ غير

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

الغافل، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[١].

وقد تحدّثت بعض الآيات عن مقام الشهداء عند اللّٰه تعالى بالمعنى المعرفي للشهادة دون تحديد للسبب الذي أوصلهم إلى هذه المكانة، قال تعالى:

١. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٢].

٢. ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٣].

٣. ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

(١) سورة ق، الآية ٣٧.
(٢) سورة النساء، الآية ٦٩.
(٣) سورة الزمر، الآية ٦٩.

حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[1].

وقد وردت صفة الشهيد باعتبارها من صفات اللّٰه تعالى، قال عزَّ وجلَّ:

١. ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾[2].

٢. ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[3].

٣. ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾[4].

٤. ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾[5].

٥. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ

(١) سورة الحديد، الآية ٢٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٩٨.
(٣) سورة المائدة، الآية ١١٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية ١٩.
(٥) سورة يونس، الآية ٤٦.

وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[١].

٦. ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢].

٧. ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣].

٨. ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٤]

٩. ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.[٥]

ويلاحَظ في ألفاظ الشهيد والشهداء في الآيات السابقة أنها وإن كانت ترجع إلى معنى واحد يتعلّق بنوع من المعرفة، إلا أنّ هذه المعرفة تختلف في درجتها بلحاظ ما نُسبت إليه، فالمعرفة الإنسانية، في مقام شهادة الإنسان

(١) سورة الحج الآية ١٧.
(٢) سورة سبأ، الآية ٤٧.
(٣) سورة فصلت، الآية ٥٣.
(٤) سورة المجادلة، الآية ٦.
(٥) سورة البروج، الآية ٩.

على حدث ما كالبيع، تكون من خلال الحواس، بينما حينما تُطلَق الشهادة المعرفية على اللّه تعالى يجب أن «تُعشَّب»، وتنقَّح من كل ما لا يتلاءم مع الكامل المطلق الذي لا يتوسَّط شيء بينه وبين معلومه.

وهذا هو حال العديد من الصفات والأفعال المنسوبة إلى اللّه تعالى كقوله تعالى:﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾. فكيد اللّه تعالى ومكره هو نوع من التخطيط الإلهي الإيجابي في مقابل إبطال كيد الأعداء.

وبناءً على ما تقدم، فإنّ شهادة اللّه تعالى في الآيات المتقدمة تعني أعلى حالات المعرفة الحضورية، فالوجود كله حاضر عند اللّه تعالى بنفسه بدون أي وسيط.

الشهيد في السُنَّة

على الرغم من الحشد الكبير من الآيات التي تحدّثت عن الشهيد والشهداء والشهادة فإنه لم يُصرِّح أيٌّ منها بكون الشهيد هو المقتولَ في ساحة الجهاد، أو ما يشابه

ذلك، وإن كانت بعض الآيات تتحمل كون المقتول كذلك من مصاديق الشهيد أو الشهداء الوارد فيها، إلا أنّ السُنَّة النبوية والروايات الواردة عن أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام أكثرت من استعمال لفظ الشهيد بمعنى المقتول في سبيل اللّه ممّا أدَّى إلى انصراف هذا المعنى من كلمة الشهيد. ونذكر من تلك الأحاديث ما يلي:

عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «للشهيد سبع خصال من اللّه: أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب...»[1].

عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «يُعطى للشهيد ست خصال: يُغفر له في أول دفعة من دمه...»[2].

عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من نفس تموت لها عند اللّه خير يَسُرُّها أن ترجع إلى الدنيا، وأنّ لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يتمنّى أن يرجع، فيُقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة»[3].

---

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ، قم، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة آل البيت إحياء التراث، ج١٥، ص ١٦.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، (لا،ط)، ١٤٠٩هـ،، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ج٤، ص ٤١٠.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ط١، (لا،ت)، تحقيق دار الحديث، ج٢، ص ١٥١٥.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام...فيه حسنات والبُشرى بالجنة بعد الشهادة»**[(١)].

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إن أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء، ألا وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد الله، وجعفر بن أبي طالب....»**[(٢)].

الشهيد وسبب التسمية

لعلّ إصرار النصوص الشريفة على إطلاق الشهيد عن المقتول في سبيل اللّه تعالى لما لهذا اللفظ من صفة معرفية إدراكية خاصة، أراد الإسلام أن يؤكِّد عليها لما تحمله من معنى يدلُّ على المقام والخصوصية للشهيد.

ويظهر هذا المقام وتلك الخصوصية من خلال التأمل بالألفاظ التي استُعملت بمعنى الإدراك والمعرفة، وقد

(١) الحويزي، تفسير نور الثقلين، تحقيق هاشم رسول المحلاتي،ط١، قم، مؤسسة اسماعيليان، ١٤١٢هـ، ج١، ص ٤٠٨، ٤٠٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٥١٣.

ذكر العلامة الطباطبائي قدس سره **«أنّ الألفاظ المستعملة في القرآن الكريم من أنواع الإدراك كثيرة ربما بلغت العشرين، كالظن، والحسبان، والشعور، والذكر، والعرفان، والفهم، والفقه، والدراية، واليقين، والفكر، والرأي، والزعم، والحفظ، والحكمة،والخبرة، والشهادة، والعقل....»**[١].

وعند المقارنة بين هذه الألفاظ في مدلولاتها الإدراكية، وبين الشهادة التي من مادتها صيغت صفة الشهيد، يتبيَّن الفرق المقامي. وهذا يظهر من العرض الآتي الذي فصَّله صاحب الميزان وهو[٢]:

الظنّ: التصديق الراجح، وإن لم يبلغ حدّ الجزم والقطع.

الحسبان: مثل الظنّ بفارق بسيط.

الشعور: الإدراك الدقيق، أُخِذ من الشَّعر لدقَّته، ويغلب استعماله في المحسوس دون المعقول.

---

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٢ ص ٢٤٧.
(٢) انظر المصدر السابق، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

الذكر: استحضار الصورة المخزونة في الذهن بعد غيبته عن الإدراك، أو حفظه من أن يغيب عن الإدراك.

العرفان وكذا المعرفة: تطبيق الصورة الحاصلة في المدركة على ما هو مخزون في الذهن.

الفهم: انفعال الذهن عن الخارج بانتقاش الصورة فيه.

الفقه: التثبُّت في هذه الصورة المنتقشة فيه، والاستقرار في التصديق.

الدراية: التوغُّل في ذلك التثبُّت حتى يدرك خصوصية المعلوم، وخباياه، ومزاياه، ولذا يستعمل في مقام تضخيم الأمر وتعظيمه. قال الله تعالى:﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾[1].

اليقين: اشتداد الإدراك الذهني، بحيث لا يقبل الزوال.

الفكر: سير ومرور على المعلومات الموجودة الحاضرة لتحصيل ما يلازمها من المجهولات.

(١) سورة الحاقَّة، الآيات ١-٣.

الرأي: التصديق الحاصل من الفكر والتروِّي، غير أنه يغلب استعماله في العلوم العملية مما ينبغي فعله، وما لا ينبغي، دون العلوم النظرية الراجعة إلى الأمور التكوينية، ويقرب منه البصيرة، والإفتاء، والقول.

الزعم: هو التصديق من حيث إنه صورة في الذهن سواء كان تصديقاً راجحاً أو جازماً قاطعاً.

العلم: الإدراك المانع من النقيض.

الحفظ: ضبط الصورة المعلومة بحيث لا يتطرق إليه التغيير والزوال.

الحكمة: الصورة العلمية من حيث إحكامها وإتقانها.

الخبرة: ظهور الصورة العلمية بحيث لا يَخفى على العالم ترتّب أيّة نتيجة على مقدماتها.

فالملاحَظ في هذه الألفاظ الإدراكية أنّ بعضها يُعبِّر عن ترجيح إدراكي بدون يقين وقطع فيه، وبعضها يُعبِّر عن إدراك يحصل من خلال حضور صورة الشيء إلى الذهن بنحو من أنحاء الحضور المتقدمة. وعليه فأرقى معاني هذه

الألفاظ الإدراكية لا يتعدَّى حضور صورة الشيء في الذهن.

وهنا يبرز معنى الشهادة؛ لأنّ الشهادة هي نيل نفس الشيء وعينه.

ولعلّ المعنى يتضح من خلال التمييز بين ثلاث مراتب من المعرفة اليقينية:

الأولى: أن نتيقَّن بوجود النار بدون أن نراها وهو علم اليقين.

الثانية: أن نتيقَّن بوجود النار من خلال رؤيتها بالعين المجرّدة، وهو عين اليقين.

الثالثة: أن نتيقَّن بوجود النار من خلال وضع اليد فيها، وهو حقّ اليقين، وفي هذه المرتبة فإنّ المعرفة تعني نيل نفس الشيء وعينه، لا صورته وماهيته.

السرُّ في الوصف الشهودي

إنّ اختيار الإسلام لصفة الشهيد للمقتول في سبيل اللّه تعالى يُشعِر بأنّ قيمة الإنسان المضحِّي تنبع من معرفته

ووعيه قبل أن يتجسّد في سلوكه العملي، وذلك يتضح من خلال معرفة البنية النظرية التي من خلالها تمَّ تشريع العمل الاستشهادي في الإسلام.

فمن الواضح في شرع اللّه الحنيف أنَّ اللّه تعالى لم يُسلِّط الإنسان على نفسه بالمطلق، فحرّم عليه الانتحار، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [(١)] معتبراً أنه من موجبات العذاب الإلهي، ففي الرواية المعتبرة عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قتل نفسه متعمِّداً فهو في نار جهنم خالداً فيها**»[(٢)]. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ المؤمن يُبتلى بكل بليّة، ويموت بكل ميتة، إلا أنه لا يقتل نفسه**»[(٣)].

وورد نفس المضمون في روايات أهل السُنَّة، ففي مسند أحمد ابن حنبل بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**من تردَّى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنَّم خالداً مُخلَّداً فيها**

(١) سورة النساء، الآية ٢٩.
(٢) الطباطبائي، علي، رياض المسائل، ١٤١٩هـ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي،قم، ج٩، ص ٤٤٢.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٤، ص ٢٤٤.

أبداً، ومن تحسَّ سماً فقتل نفسه، فسمُّه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلَّداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة... كانت حديدته في يده يُجَأُ بها في بطنه في نار جهنم خالداً»[(١)].

وهذا الأمر مبنيٌّ على تقدير إلهي خاص لحياة الإنسان التي لا يجوز له أن يجازف بها، بل له أن يدافع عنها حتى لو قضى ذلك قتل المتعرِّض له بالقتل، كما أفتى بذلك الفقهاء.

وبناءً عليه، فإنّ السير في الطريق الذي يؤدّي حتماً إلى قتل النفس كالعمل الاستشهادي، أو يُظَنُّ فيه ذلك ظنّاً معتدًّا به كأغلب الأعمال الجهادية العسكرية يحتاج إلى مسوِّغ شرعي واضح يرجح على محافظة الإنسان على حياته، لذا فإنّ شرعيَّة هذا العمل الجهادي الشهادتي يحتاج إلى قضية كبرى تخرج عن نطاق الذات والفرد لتطال المبدأ الأساس كالدفاع عن الإسلام والدِّين، أو

---

(١) النسائي، سنن النسائي، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٣٤٨هـ، ج٤، ص ٦٧.

المجتمع الإسلامي، على أساس الأولوية في مقام التزاحم بين تلك القضية الكبرى والحفاظ على النفس.

ومن الواضح أنَّ تحديد هذه الأولوية لا يتوفَّر للفرد العادي من المجتمع، بل لا بدّ لتحديدها من قائد إلهي كُفْء عالم بالخطوط والقواعد الشرعية، قادر على تطبيقها في الزمان والمكان المناسبين على أساس أولويات الأمة.

من هنا ورد عن الإمام علي عليه السلام في وصيته: **«... الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم، وأنفسكم، فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان، إمام هدى، ومطيع له مقتدٍ بهداه»**[1].

ومن لطيف ما أشار إلى هذا المعنى ما ورد عن عبّادٍ البصري أنه قال للإمام زين العابدين عليه السلام في موسم الحج: تركتَ الجهاد وصعوبته، فأقبلت على الحج ولينه، وإنّ الله عزَّ وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٤، ص ٤٠٥.

وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1] فقال له الإمام عليه السلام: أتمّ الآية، فقال عبّاد: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. فقال له الإمام عليه السلام: **«إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم، فالجهاد معهم أفضل من الحج»**[3].

إذاً فالجهاد والشهادة بحاجة إلى دقّة في تحديد المسار. وهذا ما يتطلّب من المجاهد طالب الشهادة وعياً دينياً من جهة ضمانة شرعية عمله، ووعياً اجتماعياً يدرك من خلاله قيمة عمله الذي يدخل في كبرى قضايا الدين وأولويات الأمة، بحيث يقرِّر أن يقدِّم الخاص العزيز عليه، وهو نفسه لأجل العام الأعزّ، وهو الدين أو المجتمع الذي تمثّل خدمته

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.
(٢) سورة التوبة، الآية ١١٢.
(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج٢، ص ٤٧.

والتضحية لأجله اختزالاً لمسيرة كماله في سبيل اللّٰه تعالى.

إذاً معرفة طالب الشهادة ووعيه الواسع في مسيره الجهادي شرط أساس في نيله مراتب الشهيد، ولذا استحقّ أن ينال مقاماً، ويوسم بصفة تنطلق من المعرفة، فينال بذلك الشهادة ويوصف بالشهيد.

مقام الشهيد

قال اللّٰه تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

في هذه الآيات خصائص ومراتب للمقتول في سبيل اللّٰه هي:

١. الحياة.

٢. الاطمئنان.

---

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٦٩-١٧١.

٣. النعيم المتواصل.

٤. الفرح بالثواب.

٥. الاستبشار بالتحاق رفاق الجهاد.

٦. الاستبشار بالنعيم المستقبلي.

وتفصيل ذلك في ما يلي:

١ - حياة الشهيد

نهى القرآن الكريم عن أمرين يتعلقان بحياة الشهيد:

الأول: الاعتقاد بموته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

الثاني: التعبير عن الشهيد بأنه ميت، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[2].

والسبب في ذلك أنّ معنى الموت في أصله -كما نص عليه ابن فارس في معجم مقاييس اللغة- هو ذهاب القوة من الشيء، وقد استشهد لذلك بما رُوي عن النبي

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٤.

الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حول نبتة الثوم: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربنَّ مسجدنا، فإن كنتم لا بدَّ آكليها، فأميتوها طبخاً»[١]. فمن الواضح أنّ معنى أميتوها أي اذهبوا ما فيها من قوة الرائحة.

وعليه فإن القرآن الكريم ينفي عن الشهيد ذهاب قوته، بل يُخبر عنه بأنه ما زال في موقع القوة الحياتية، والتي هي باقية، ليس في الجسد المادي الذي يتغيَّر ويتحوَّل، وإنما في النفس الإنسانية، وهذا ما قد تختلف معه الحياة، وبالتالي القوَّة، إذ إنَّ هذه النفس لن تكون بلبوس مادي، وإنما بجسم مثالي برزخي كما نصَّت عليه الروايات، فعن الإمام الصادق عليه السلام حينما سُئل: أين هي أرواح المؤمنين؟ أجاب عليه السلام: «في روضة كهيئة الأجساد في الجنة»[٢]، وفي رواية أخرى «في أبدان كأبدانهم»[٣].

---

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (لا.ط)، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ج٥، ص ٢٨٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٣، ص ٢٤٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٤٤.

الشهداء وموتى البرزخ

وهنا يطرأ تساؤل عقيديٌّ يستند إلى ما ثبت في العديد من الروايات التي تتحدث عن الحياة البرزخية، إما لكلِّ الموتى، أو لمن محض الإيمان، أو محض الكفر، ولكن على كلا الاحتمالين، فإنّ هذه الحياة لا تختص بالشهداء.

ومن تلك الروايات التي تعمِّم الحياة البرزخية:

١. ما ورد عن أمير المؤمنين: «**القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار**»(١).

٢. ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ أرواح المؤمنين لفي شجرة من الجنة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون: «ربَّنا أقم الساعة لنا، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأوَّلنا»**»(٢).

٣. ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «**إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة تعارف وتساءل،**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ٢١٤.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٣ ص ٢٤٤.

فإذا قدمت الروح على الأرواح يقول: دعوها؛ فإنها قد أفلتت من هول عظيم. ثم يسألونها: ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حياً، ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك، قالوا: قد هوى هوى»[(١)].

ما ورد عن أبي بصير أنه سأل أبا عبد اللّٰه عن أرواح المؤمنين فأجاب عليه السلام: **«في حجرات في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، ويقولون: ربَّنا أقم الساعة لنا، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأوَّلنا»**[(٢)].

ومن الروايات التي تخصِّص الحياة البرزخية بمن محض الإيمان ومحض الكفر، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

١. **«لا يُسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، والآخرون يلهون عنهم»**[(٣)].

٢. **«إنما يُسأل في قبره من محض الإيمان محضاً، والكفر محضاً، وأما ما سوى ذلك فيُلهى عنهم»**[(٤)].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٤٤

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٤٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٣٥.

(٤) المصدر السابق ص ٣٣٥.

٣. «لا يُسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً»[١].

ويمكن الجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات بأنّ المقصود من الإلهاء في الطائفة الثانية ليس نفي إحساسهم وحياتهم نهائياً، بل المقصود هو تركهم من دون سؤال، ومن دون نقلهم إلى جنَّة البرزخ ونار البرزخ، بل يُتركون في قبورهم.

ويشهد لهذا الجمع ما ورد في صحيح ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قلت له: جُعلت فداك، ما حال الموحّدين المقرّين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام، ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال: أمّا هؤلاء، فإنهم في حفرهم لا يخرجون منها، فمن كان له عمل صالح، ولم يظهر منه عداوة، فإنه يُخدّ له خدّاً إلى الجنة التي خلقها الله بالمغرب، فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتى يلقى الله،

(١) المصدر السابق، ص ٣٣٦.

فيحاسبه بحسناته وسيئاته، فإمّا إلى الجنّة وإما إلى النار، فهؤلاء الموقوفون لأمر الله. قال: وكذلك يفعل بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم، وأمّا النُّصّاب من أهل القبلة، فإنه يُخدّ لهم خدّاً إلى النار التي خلقها الله في المشرق، فيدخل عليهم اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثم بعد ذلك مصيرهم إلى الجحيم»[١].

فهذه الرواية تصلح كشاهد على أنّ الذين يُلهى عنهم هم «الموقوفون لأمر الله».

وعليه فإن كان الموتى بشكل عام تبقى أنفسهم حيَّة إمَّا في جنة البرزخ أو ناره وإما في قبورهم، فما الوجه لتخصيص الحديث عن الشهداء بأنهم أحياء؟!!!

يُقال في مقام الجواب: إنّ نوعية الحياة للشهداء تختلف، فهي حياة قوية، خاصة، فيها نعيم استثنائي تُعبِّر عنه العندية ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾، وهذا جواب صحيح،

---

(١) المجلسي محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ٢٨٦.

نضيف إليه أنَّ هناك ميزة أُخرى تتعلق بحياة الشهداء، وهي تتعلق بالفترة الواقعة بين نفخ صور الإماتة، ونفخ صور الإحياء يوم القيامة، ففي هذه الفترة يتم صعق جميع الأحياء سوى استثناء قليل، إذ يقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (١)، فالذي يظهر من إطلاق هاتين الآيتين أنّ الصعق يشمل كل من في السموات والأرض بمن فيهم الذين ماتوا قبلاً، وانتقلوا إلى البرزخ، وهذا ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام حينما سأله أحدهم: «**أفيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟** ، **قال عليه السلام : «بل هو باق إلى وقت يُنفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، فلا حسَّ ولا محسوس، ثم أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها، وذلك أربع مئة سنة يسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين**(٢).

(١) سورة الزمر، الآية ٦٨.

(٢) المشهدي، محمد، تفسيركنز الدقائق،ط١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي ج١١، ص ٣٣٧-المجلسي، محمد باقر،بحار الأنوار ج٦، ص ٢١٧.

وممّا ينسجم بل يؤيِّد ما تقدم تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾[(١)] **بأنّ المُراد من الموت الأول فصل الروح عن الجسد في الدنيا، ومن الموت الثاني هو الصعق والسبات بعد النفخ الأول»**[(٢)].

وبناءً عليه فعند النفخ الأول يكون هناك سبات عام، وعدم حياة عام لجميع الكائنات، لكن يوجد استثناء من هذا السبات، ومن فقدان الحياة عبَّر عنه سبحانه في ما مرّ بـ **«من شاء الله»**. وقد فسّر البعض المُستثنى في الآية بالشهداء، فقد نقل الشيخ الطبرسي في تفسير جوامع الجامع عن ابن جبير في تفسيره لـ: **«من شاء الله»**: **«هم الشهداء متقلدو السيوف حول العرش»**[(٣)]، وهذا يعني قوَّة في حياة الشهداء تؤهلهم لبقاء حياتهم بين النفختين.

---

(١) سورة غافر، الآية ١١.
(٢) أنظر: الحائري، كاظم، أصول الدين، ط١، قم، مكتب المؤلف، ١٤٢٤هـ، ص ٣٢٣.
(٣) الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ط١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢١هـ، ج٣، ص ٢٢٩.

٢- اطمئنان الشهيد.

تصف الآيات الكريمة السابقة حال الشهداء بأنهم ﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾، وحينما نتأمل في معنى الخوف والحزن نلاحظ أنّ الأول يتعلق بحذر الإنسان أن يفقد في المستقبل ما يملكه أو له حقٌّ فيه، فمن عنده ولد، فإنه يخاف عليه المرض والموت، ومن عنده أموال، فإنه يخاف أن يفقدها وهكذا، أما الحزن فهو يتعلق بالحالة النفسية التي تعتري الإنسان حينما يفقد شيئاً قد ملكه، أو كان له حق فيه، فمن فقد ولده يحزن عليه، ومن فقد ماله يحزن عليه وهكذا، فمتعلَّق الحزن الماضي، ومتعلَّق الخوف المستقبل، وكلاهما يعتريان من يعتقد بملكه لشيء أو حقّه فيه.

لكنّ هذا الشعور لا يعتري ثلة من الناس سمَّاهم اللّه تعالى في كتابه بأولياء اللّه، فقال عنهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[1]؛ لأنّ وليَّ اللّه يعتقد

(١) سورة يونس، الآية ٦٢.

اعتقاداً عقلياً وقلبياً بأنّ كلَّ شيء هو ملكٌ للّه وحقٌّ له تعالى، فلا يحزن على ما مضى حزن الفاقد الذي كان يملك، أو كان له حق فيه، ولا يخاف على شيء خوف المعتقد بملكه أو حقِّه، وهذا غير خوفه وحذره العقلائي، وحزنه الإنساني العاطفي.

من هنا فإنّ وليَّ اللّه يعيش اطمئناناً في حياته، لا يزعجه فيه خوف ولا حزن؛ لأنّ ذكر اللّه تعالى ملأ حياته، فكان قلبه مصداقاً لقوله عزَّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[١].

والآية السابقة على تفسير رجوع الضمير «عليهم» إلى «الذين قُتلوا في سبيل اللّه»[٢] تصف حال الشهداء بهذا الاطمئنان، فهم في حياتهم البرزخية لا يحزنون على ما فاتهم، وقد وجدوا خيراً منهم كثيراً، ولا يخافون من مستقبل وهم في كنف اللّه تعالى، وعنده عزَّ وجل.

إنَّ اطمئنان الشهداء هو أحد الأسباب الرئيسية لقوَّة

---

(١) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٢) إذ يُحتمل رجوع الضمير إلى «الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم». أنظر، الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، رقم ١، ج٢، ص ٧٨٠.

الحياة عندهم، فإنّ المطمئن الحقيقي يشعر بتلك القوة النابعة من ذكره للّه واستحضاره الدائم له. فيكون بهذه القوة مصداقاً للقويّ بالقوة التي بحث عنها ذلك الحكيم القائل في رحلة بحثه:

«بحثت عن أقوى الأشياء فوجدته الحديد..

نظرت إلى الحديد فوجدت أن النار تمدده، فعلمت أنّ النار أقوى من الحديد.

نظرت إلى النار، فوجدت أنّ الماء يطفئها، فعلمت أنّ الماء أقوى من النار..

نظرت إلى الماء، فوجدت أنّ السحاب ينزله، فعلمت أنّ السحاب أقوى من الماء..

نظرت إلى السحاب، فوجدت أنّ الرياح تجره، فعلمت أنّ الرياح أقوى من السحاب..

نظرت إلى الرياح، فوجدت أنّ الجبال تصدُّها، فعلمت أنّ الجبال أقوى من الرياح..

نظرت إلى الجبال، فوجدت أنّ الإنسان يعلوها، فعلمت أنّ الإنسان أقوى من الجبال..

نظرت إلى الإنسان، فوجدت أنّ النوم يسكته، فعلمت أنّ النوم أقوى من الإنسان..

نظرت إلى النوم، فوجدت أنّ القلق يذهبه، فعلمت أنّ القلق **أقوى من النوم..**

نظرت إلى القلق، فوجدت أنّ الاطمئنان يعدمه، فعلمت أنّ الاطمئنان أقوى من القلق.. عندها علمت معنى قول ربّي: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

ومن هنا كان مشهد الاطمئنان والقوة بادياً على معالم الإمام الحسين عليه السلام الذي تعجَّب من رآه قبيل شهادته، إذ كان كلَّما اشتدّ عليه الأمر سكنت نفسه، وهدأت جوارحه، وأشرق لونه نوراً وبهاءً، فقيل: انظروا إليه. لا يُبالي بالموت، فقال لهم عليه السلام: «**صبراً بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم، فأيُّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟! وما هو لأعدائكم، إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، إنَّ أبي حدَّثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ**

الدنيا سجن المؤمن وجنَّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم»[(١)].

٣-النعيم المتواصل

فقد وصفتهم الآية السابقة بأنهم «**يُرزقون**»، فرزقهم بحسب مفاد الفعل المضارع متواصل مستمر.

وأيُّ رزق هو رزق الشهداء!

إنه الرزق الحسن من خير الرازقين الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[(٢)].

إنَّه الرزق الذي يتمنّى الشهيد أن يرجع لأجله إلى الدنيا ليدخل باب الشهادة من جديد، كما ورد في الحديث السابق عن الرسول الأكرم ﷺ بأنه «**ما من نفس تموت لها عند الله خير يَسُرُّها أن ترجع إلى الدنيا، وأنّ لها**

---

(١) ا المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ١٥٤.

(٢) سورة الحج، الآية ٥٨.

الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يتمنّى أن يرجع، فيُقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة»[١].

من هنا نفهم بعضاً من سرٍّ روحية الشهادة لدى شهيد الإسلام الأكبر علي بن أبي طالب الذي شكا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد إحدى الغزوات لكونه لم يُستشهد فيها، فأجابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أبشر فإنّ الشهادة من ورائك، فطالبه بذلك في معركة أُخرى قائلاً: يا رسول الله أوليس قد قلت لي حيث استُشهد من استُشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة، فشقَّ ذلك عليَّ فقلت لي: أبشر فإنّ الشهادة من ورائك؟!!!، فأجابه صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذاً؟ فقال عليه السلام: «يا رسول الله، هذا ليس من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر»**[٢].

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ط١، (لا،ت)، تحقيق دار الحديث، ج٢، ص ١٥١٥.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار،ج٣٢، ص٢٤١.

٤-الفرح بالثواب

يكمل القرآن الكريم وصفه للشهداء بـ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[1]، وكيف لا يفرحون، وقد وصف اللّه تعالى أجرهم بالعظيم في قوله تعالى:﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[2].

وقد تحدَّثت بعض الروايات عن بعض معالم ذلك الأجر والثواب الإلهي للشهيد. فعن النبيﷺ: «للشهيد سبع خصال من اللّه،

الأولى: أول قطرة من دمه مغفور له كلّ ذنب.

الثانية: يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، تمسحان الغبار عن وجهه، وتقولان: مرحباً بك، ويقول هو مثل ذلك.

الثالثة: يُكسى من كسوة الجنة.

---

(١) سورة آل عمران، ١٧٠.
(٢) سورة النساء، الآية ٧٤.

الرابعة: تبتدره خزنة الجنة بكل ريحٍ طيبة، أيّهم يأخذه إليه.

الخامسة: أن يرى منزله.

السادسة: يقال لروحه: اسرح في الجنة حيث شئت.

السابعة: أن ينظر في وجه الله، وإنها لراحة لكل نبيٍّ وشهيد»[١].

من هنا كان الخُلَّص من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصرُّون على الاستشهاد في سبيل الله تعالى لما يعرفون من فضل الشهادة، ومن هؤلاء عمرو بن الجموح الذي كان رجلاً أعرج، فلما كان يوم «أُحد»، وكان له بنون أربعة يشهدون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم المَشَاهد أمثال الأسد، وأراد قومه أن يحبسوه، وقالوا: أنت رجل أعرج، ولا حرج عليك، وقد ذهب بنوك مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فأجابهم: بخٍ، يذهبون إلى الجنة، وأجلس أنا عندكم!! فقالت: هند بنت عمرو امرأته: كأني أنظر إليه مولِّياً قد أخذ درقته، وهو يقول: اللهم لا تردَّني إلى أهلي. فخرج ولحقه بعض قومه يكلِّمونه في

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٦.

العودة. فأبى وجاء إلى رسول اللّه ﷺ، فقال: «**يا رسول الله، إنَّ قومي يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك، والله لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة**». فقال ﷺ له: «**أما أنت فقد عذرك الله، ولا جهاد عليك**»، فأبى، فقال النبي ﷺ لقومه وبنيه: «**لا عليكم أن تمنعوه، لعلّ الله يرزقه الشهادة**»، فخلّوا عنه، فقُتِلَ يومئذ شهيداً، فحملته هند بعد شهادته، مع ابنها خلاد، وأخيها عبد اللّه على بعير، فلما بلغت منقطع الحرة برك البعير، فكان كلَّما تُوجِّهه إلى المدينة برك، وإذا وجّهته إلى أُحد أسرع، فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بذلك، فقال ﷺ: «**إن الجمل لمأمور. هل قال عمرو شيئاً**»؟ قالت: نعم، إنه لما توجَّه إلى «**أُحد**» استقبل القبلة، ثم قال: اللهم لا تردَّني إلى أهلي، وارزقني الشهادة. فقال ﷺ: «**فلذلك الجمل لا يمضي. إنّ منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم عمرو بن الجموح**»[1].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢٠، ص ١٣٠، ١٣١.

ومما مرَّ نفهم سرَّ ذلك الفرح الذي كان يظهر على ملامح شهداء كربلاء قبيل شهادتهم حتى إنَّ البعض تعجَّب من ذلك.

فها هو برير قبيل شهادته يضاحك عبد الرحمن الأنصاري، فقال له عبد الرحمن: «**يا برير، ما هذه ساعة باطل**»! فأجاب برير: «**لقد عَلِمَ قومي أني ما أحببت الباطل كهلاً ولا شابّاً، وإنما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه، فوالله ما هو إلا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة، ثم نعانق الحور العين**»[١]

وها هو يزيد بن الحصين يرى حبيب بن مظاهر يضحك في كربلاء، فيقول له: «**يا أخي ليست هذه بساعة ضحك! فيجيبه حبيب: فأيُّ موضع أحق من هذا بالسرور؟ والله ما هو إلا أن يُقبل علينا هؤلاء القوم بسيوفهم فنعانق الحور**»[٢].

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (لا،ط)، بيروت، دار التعارف، (لا،ت)، ج١، ص ٦٠١، ٦٠٢.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، قم، مؤسسة الشر الإسلامي، ١٤١٨هـ، ج١، ص ١٣٠/ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٥، ص ٩٣.

وقد تعلَّم مجاهدو المقاومة الإسلامية في لبنان من هؤلاء الشهداء كيف يفرحون، ويضحكون على عتبة شهادتهم. ومن جميل تلك المواقف ما حصل مع الاستشهادي الأول في هذه المقاومة وهو الشهيد أحمد قصير الذي استشهد في سن التاسعة عشر ربيعاً، فقد رآه رفيقه في الجهاد الذي كان يجهِّز العبوة في السيارة يضحك ويضحك، فسأله عن سبب ذلك، فأجابه: ثقِّل العبوة تحت مقعدي، فإني أريد أن أطير بسرعة.

٥- الاستبشار بالتحاق رفاق الجهاد

تشير الآية السابقة إلى أنَّ الشهداء مع ما يعيشونه من نعيم متواصل وسعادة غامرة، فإنهم لا يعيشون أنانية النعمة التي تنسيهم الآخرين، بل يبقون على تواصل روحي معنوي مع رفاقهم المؤمنين، لذا هم ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[1]

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٠.

وقد ورد في بعض الروايات بأنّ أرواح المؤمنين تسأل القادم إليها في جنتهم البرزخية عن بعض رفاقهم المؤمنين، فإن قالت لهم «**تركته حيّاً ارتجوه**»[١].

وفي كربلاء صرَّح الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه أنَّ الشهداء يتوقعون قدومهم وذلك بعد أن فرغ من الصلاة، وقال لهم: «**يا كرام، هذه الجنة قد فتحت أبوابها، واتصلت أنهارها، وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله والشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم، ويتباشرون بكم، فحاموا عن دين الله، ودين نبيِّه، وذبّوا عن حرم الرسول**»[٢].

٦-الاستبشار بالنعيم المستقبلي

ورغم كل النعيم والثواب الجزيل الذي يؤتيه اللّه تعالى للشهداء تصفهم الآية أنهم «**يستبشرون بنعمة من اللّه وفضل...**».

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٣، ص ٢٤٤.
(٢) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، ص ٢٤٦.

ومن النعم القادمة على الشهداء هو مقام الشفاعة الذي ورد فيه عن رسول الله ﷺ: **«ثلاثة يشفعون إلى الله فيُشفَّعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»**[(١)].

وتنطلق الشفاعة يوم القيامة في كثير من مجرياتها بسبب فعل الهداية الذي كان يمارسه الشفيع في حياته الدنيا، فالأنبياء والعلماء كان دورهم الأساس هو هداية الناس، لذا فإنَّ شفاعتهم للناس تكون في ضوء تجاوب الناس معهم من خلال اهتدائهم، وهذا ما يوضِّح ميزة تقدم الأنبياء عليهم السلام والعلماء في موقع الشفاعة.

ولكنّ السؤال الذي يفرض نفسه هو أنَّ مقام شفاعة الهداية واضح من خلال دور الأنبياء عليهم السلام والعلماء، ولكن كيف نتعقَّل شفاعة الهداية في الشهيد الذي قد يكون غير عالم، بل قد يكون صغيراً لم يكتب كتاباً، ولم يعتلِ منبراً، ولم يُقدِّم محاضرة، كذلك الشهيد الصغير الذي قام بالعملية الاستشهادية وهم لم يتخطَّ زمن بلوغه إلا بفترة قليلة، فنوَّه

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار،ج٨، ص ٣٤.

به الإمام الخميني قدس سره واصفاً إياه بـ «**قائدنا ذلك الطفل الذي فجّر نفسه، تحت دبابات العدو في خرمشهر**»[١].

فالسؤال هو: كيف نتعقَّل مقام شفاعة الهداية له؟ هنا يُنقل عن الإمام الخميني قدس سره مطلب لطيف يجيب فيه عن هذا السؤال وهو أنَّ الشهيد يهدي بدمه.

وفعلاً صدق الإمام الخميني قدس سره، فكم رأينا من أناس انقلبت حياتهم نحو الإيمان، ببركة دم الشهيد، من أقربائهم أو جيرانهم! وكم رأينا شباناً تأثّروا بالشهداء، فاهتدوا نحو التدين والالتزام! بل لقد رأينا بركات الشهداء في التحوُّل الاجتماعي الإيماني العامّ الذي ما فتئ يتقدّم ببركة دمائهم الطاهرة.

ومن هنا نطلّ على:

مسؤولياتنا تجاه الشهداء

المسؤولية الأولى: هي حفظ القضية التي استُشهدوا من أجلها. فإذا كان «**من بلّغ رسالة غازٍ كمن أعتق رقبته،**

---

(١) البغدادي، مكي قاسم، الشهادة تأصيل لا استئصال، ط١، بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٣، ج١، ص ١٠٩.

وهو شريكه في ثواب غزوته»[1]، فكيف بمن حمل وبلَّغ القضية التي كانت نصب عين الشهيد حينما قُتِلَ في سبيل اللّه؟!

رحم اللّه سيد شهداء المقاومة الإسلامية السيد عباس الموسوي الذي كان يقول: **«الوصية الأساس: حفظ المقاومة»**.

المسؤولية الثانية: هي حفظ عوائلهم وتكفّل أيتامهم، لقد كان الإمام الخميني قدس سره يقول **«إنَّ رضا صاحب العصر والزمان من رضا عوائل الشهداء»**.

المسؤولية الثالثة: هي استمرار العلاقة بهم، من خلال إهدائهم ما فيه أجر وثواب، تأسِّياً بالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام التي كانت تزور شهداء «أُحد» أسبوعياً، وقد صَنَعَتْ من طين قبر سيد الشهداء «حمزة عليه السلام» سبحة خاصة تسبِّح اللّه تعالى بها.

المسؤولية الرابعة: هي حفظ وتنمية روحية الشهادة في أنفس المؤمنين، والتي رسم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حدَّها

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٥، ص٨.

الجهاديَّ الأدنى بقوله: «**من مات ولم يغزُ، ولم يُحدِّث به نفسه، مات على شعبة من نفاق**»[1].

أسأل اللّه تعالى أن يرحم شهداءنا، ويُلحقنا بإمام الفاتحين في كربلاء.

والحمد للّه ربّ العالمين

أكرم بركات

بيروت مُحرَّم ١٤٣٢ هـ

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٤.

المصادر

١. القرآن الكريم

(أ)

٢. أعيان الشيعة، الأمين، محسن، تحقيق حسن الأمين، (لا ط)، بيروت، دار التعارف (لا ت).

٣. أنصار الحسين عليه السلام، شمس الدين، محمد مهدي، ط٢، بيروت، الدار الإسلامية، (لا،ت).

٤. أصول الدين، أنظر: الحائري، كاظم، ط١، قم، مكتب المؤلف، ١٤٢٤هـ.

٥. الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، روح الله، ترجمة محمد الغزوي، (لا،ط) قم، دار الكتاب الإسلامي، (لا،ت).

٦. الأنوار البهية، القمّي، عباس، ط١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.

٧. الأخبار الطوال، الدينوري، أحمد، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م.

٨. إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي، الفضل بن الحسن، ط١، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٧هـ.

٩. الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، قم.

(ب)

١٠. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، تصحيح محمد مهدي الموسوي الخراساني، (لا،ط)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٦ هـ.ش.

(ت)

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضى، تحقيق علي شيري، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ.

١٢. تفسير القمي، القمي، علي بن ابراهيم، ط٣، قم، دارالكتاب، ١٤٠٤هـ.
١٣. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن، حسن إبراهيم، ط٧، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٤م.
١٤. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، علي بن الحسن، تحقيق علي شيري (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
١٥. تاريخ الأمم والملوك، الطبري، محمد بن جرير، (لا، ط)، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٩م.
١٦. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ابن عساكر، تحقيق محمد باقر المحمودي، ط٢، قم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٤هـ.
١٧. تلويح النوريات من الكلام في تنقيح الضروريات من الإسلام، الخونساري، محمد باقر، (لا، ط)، (لا، م). (لا، ن)، (لا، ت).
١٨. تفسير نور الثقلين، الحويزي، تحقيق هاشم

الرسولي المحلاّتي،ط٤، قم، اسماعيليان، ١٤١٠هـ.

١٩. تفسير كنز الدقائق، المشهدي، محمد، ط١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

٢٠. تفسير جوامع الجامع، الطبرسي، ط١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢١هـ.

(ث)

٢١. ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، شمس الدين، محمد مهدي،(لا، ط)، قم،(لا، ت).

(ج)

٢٢. الجواهر السنية،الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، (لا،ط)، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٦٤م.

٢٣. الجوهري، الصحاح تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ، ١٤٠٧ هـ.

(د)

٢٤. دراسات في الحديث والمحدِّثين،الحسني، هاشم معروف، ط ٢، بيروت دار التعارف ١٩٧٨ م..

٢٥. الدوافع الذاتية لأنصار الحسين، عابدين، محمد علي، ط٣، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٣.

(ر)

٢٦. رياض المسائل، الطباطبائي، علي، ١٤١٩هـ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

(س)

٢٧. سيرة الأئمة الأثني عشر، الحسني، هاشم، ط١، قم، الشريف الرضي، ١٤٠٩هـ.

٢٨. سنن النسائي، النسائي، ط١، بيروت، دار الفكر ١٣٤٨هـ.

(ش)

٢٩. الشهادة تأصيل لا استئصال، البغدادي، مكي قاسم، ط١، بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٣.

٣٠. شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.

٣١. شرح المواقف لعبد الرحمن الإيجي، الجرجاني، علي بن محمد، ط١، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٠٧م.

(ص)

٣٢. صحيح البخاري، البخاري، محمد بن اسماعيل، تحقيق عبد العزيز بن عبد اللّٰه بن باز، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٩١م.

٣٣. صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم، (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٢م.

(ع)

٣٤. العقل والجهل في الكتاب والسُنَّة، الريشهري، محمد، ط١، بيروت، دار الحديث، ١٤٢١هـ.

(غ)

٣٥. الغدير في الكتاب والسنة، الأميني، عبد الحسين، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

(ف)

٣٦. الفتوح، ابن أعثم الكوفي، أحمد، تحقيق علي شيري، ط١، دار الأضواء ١٤١١هـ.

(ك)

٣٧. الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب، تحقيق علي أكبر غفاري، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٨ هـ.ش.

٣٨. كنز العمال، المتقي الهندي، (لا،ط)، ١٤٠٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(ل)

٣٩. لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، أحمد، ط ٢، بيروت، الأعلمي، ١٩٧١.

(م)

٤٠. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، محمد حسين، ط٢، بيروت الأعلمي، ١٩٧٣م.

٤١. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد، تحقيق عبد السلام هارون، (لا.ط)، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.

٤٢. معالم الفتن، أيـوب، سعيد، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٦هـ.

٤٣. ميزان الحكمة،الريشهري، محمد، ط١، قم، دار الحديث، ١٤١٦هـ.

٤٤. معالم المدرستين،العسكري، مرتضى، (لا،ط)، بيروت، النعمان، ١٩٩٠.

٤٥. مقتل الحسين، المقرّم، عبد الرزاق، ط٢، قم، دار الثقافة، ١٤١١ هـ.

٤٦. مُستدركات أعيان الشيعة، الأمين، حسن، ط٢، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤١٨هـ.

٤٧. مـن أخـلاق الإمـام الحسين عليه السلام ، الـمُهتدي

البحراني، عبد العظيم، ط١، قم، انتشارات شريف الرضي، ١٤٢١هـ.
٤٨. المكاسب المحرّمة، الخميني، روح اللّه، ط٣، قم، اسماعيليان، ١٤١٠هـ.
٤٩. مصحف فاطمة، بركات، أكرم، ط٤، بيروت، دار الصفوة، ٢٠٠٩.
٥٠. ميزان الحكمة، الريشهري، محمد، ط١، (لا،ت)، تحقيق دار الحديث.

(ن)

٥١. نهج البلاغة، تحقيق الشيخ محمد عبده، ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢هـ.

(و)

٥٢. وسائل الشيعة، الحر العاملي، (لا،ط)، تحقيق الشيخ محمد الرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (لا،ت).
٥٣. وسائل الشيعة، الحر العاملي، محمد بن الحسن، قم، ط٢، مؤسسة آل البيت إحياء التراث ١٤١٤هـ.

الفهرس

صدر للمؤلف

١. حقيقة الجفر عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢. حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. حائز على جائزة أفضل كتاب لعام ٢٠٠٣م، في مهرجان الولاية الدوليّ في إيران.

٣. ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. رسالة ماجستير حازت على درجة ممتاز، مع التنويه والتوصية بالنشر.

٤. دروس في علم الدراية، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. معتمد في المناهج الدراسية الحوزويّة.

٥. وليالٍ عشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٦. برقية الحسين عليه السلام، بيـروت، بيت السراج للثقافة والنشر. (بين يدي القارىء).

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

The Telegram of Hussein (pbuh).

Le Télégramme d’Al-Houssein (Qu’Allah le salue).

٧. وأتممناها بعشر (من وحي عاشوراء)، بيـروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٨. المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة فوز دو ايغواسو.

٩. أحكام النساء. فوز دو ايغواسو.

١٠. التبليغ من وحي التجربة، قمّ.

١١. Paulo em busca da verdade («باولو» الباحث عن الحقيقة – باللغة البرتغالية).

١٢. A ORACAO NO ISLAM «Assalat» (الصلاة في الإسلام باللغة البرتغالية).

١٣. مختصر الواجبات في الإسلام (UM RESUMO DOS DEVERES NO ISLAM)

١٤. خيوط القبعة، بيروت، دار الصفوة.

١٥. حائك القبعة (الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين)، بيروت، دار الصفوة.

١٦. التكفير، ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، دار الأمير للثقافة والعلوم.

١٧. قافلة البشرية، من سفينة نوح إلى دولة المهديّ عجل الله فرجه الشريف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٨. هذا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٩. محاضرات في الثقافة الإسلامية بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يسألونك، وتضم:

٢٠. يسألونك عن اللّه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

They ask you about Allah.

Ils t’interrogent à propos Allah.

٢١. يسألونك عن الأنبياء عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about prophets

Ils t’interrogent sur les prophetes

٢٢. يسألونك عن الأئمة عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about Imams.

ils t'interrogent sur les imams

٢٣. يسألونك عن الوليّ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية

They Ask You about the Waliy (Guardian)

٢٤. يسألونك عن التقليد، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

They ask you about Imitation.

Il t'interrogent sue le Taqlid.

٢٥. يسألونك عن الموت والبرزخ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

They ask you about Death & the Barrier (The Call for Departure)

٢٦. يسألونك عن القيامة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They Ask You about Resurrection

Ils t'interrogent sur la resurrection

مجموعة تعارفوا، وتضم:

٢٧. دليل العروسين بين الخطوبة والزفاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

Bride & Bridegroom Manual From Engagement to Marriage

٢٨. سعادة الزوجين في ثلاث كلمات، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٩. ٣ حقوق لحياة زوجيّة ناجحة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٠. كيف تجعل ولدك صالحًا؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣١. كيف نتواصل مع الناس؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٢. كيف نبني مجتمعًا أرقى؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٣. آية الوصايا العشر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يزكّيهم، وتضم:

٣٤. ميزان السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٥. برنامج السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٦. هكذا تكون سعيدًا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية: Finding Happiness.

٣٧. كيف ترجع كما ولدتك أمك؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٨. شهر اللّه آدابه - مناسباته - أولياؤه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٩. لا تَقرَبُوا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٤٠. كيف نتواصل مع اللّه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

يمكنك تصفح جميع هذه الكتب وغيرها

على موقع سراج القائم عجل الله فرجه الشريف

www.sirajalqaem.com